مرآة الرشاد

في الوصية إلى الأحبة والذرية والأولاد

مرآة الرشاد

في الوصية إلى الأحبة والذرية والأولاد

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م

للطباعة والنشر والتوزيع
بيروت - لبنان

هاتف: ٠٣/٩٤٦١٦١ - ٠٣/١١٥٤٢٥ - تلفاكس ٠١/٢٧١٩٨٨

http://www.Dar-Alamira.com
e-mail:zakariachahbour@hotmail.com

مكتبة
ذو الجناحين
النجف الأشرف
هاتف: ٠٧٨٠١٠٣٢٣٨٢

مرآة الرشاد

في الوصية إلى الأحبة والذرية والأولاد

تأليف

فقيد العلم والتقى آية الله العظمى
الشيخ عبد الله المامقاني قدس سره

الأميرة
للطباعة والنشر والتوزيع

بسم الله الرحمن الرحيم

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وبه نستعين

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على نبيّه الأمين، وآله الغرّ الميامين.

وبعد؛

فيقول العبد الضعيف الفاني:

عبد الله الشريف المامقاني

عفى عنه ربّه ابن الشيخ قدس سره:

إنّي لما وجدت قصر الأعمار، وعدم اعتبار الآجال، ووجدت الأجل إذا جاء لا يمهل، والموت إذا فاجأ لا يستقدم ولا يستأخر، وخفت أن يدركني الأجل قبل تربية ولدي وفلذة كبدي سمّي والدي محمد حسن[1] - أحسن الله سبحانه حاله في الدارين، ووفقه لتحصيل الملكتين، وأعزَّ به الدين، وشيّد به الشرع المبين - فرأيت أن أفرد

(١) وهو الولد الأكبر للمؤلف قدس سرّه، توفي في حياة والده رحمهما الله.

رسالة تتضمّن وصاياي إليه وإلى سائر ذريتي وأحبائي ممّا يدور مدار الإلتزام به كماله، وصلاح داريه.

وأرجو من كافّة ذرّيتي - ما لم ينقرضوا - وسائر إخوان الدين العمل بها، ومَنْ ترك مِن ذرّيتي مراجعة هذه الرسالة في كل أسبوع [مرة] أو شهر مرة إلى أن يصير جميع ما فيها له ملكة فهو عاقّ عليّ، وأراه لا يفلح ولا يرى الخير، ومَنْ حصل منهم ملكة بعضها فعليه بمراجعة الباقي إلى أن يصير الجميع له ملكة.

ومَنْ لم يخالفني في هذه الوصية فأسأل الربّ الجليل - عزّ شأنه - أن يصلح له شأن داريه، ولا يريه مكروهاً، ويَمدّ له في العمر السعيد، ويمتّع له بالعيش الرغيد.

وأسأل الكريم الوهّاب أن ينفعني وإيّاه بها يوم الحساب؛ الذي لا ينفع فيه مال ولا بنون...

وسمّيتها بـ:

«مرآة الرشاد»

في الوصية إلى الأحبة والذرية والأولاد

وقد رتّبتها على فصول:

الفصل الأول

في نبذ يسيرة مما يرجع إلى الأصول لخمسة إجمالاً

اعلم بنيّ - هداك الله سبحانه إلى سواء الصراط، وجنّبك المعاصي والزلاّت - أنّ أول ما يجب عليك أن تنظر في أصول دينك، وتحكم بالأدلّة القطعيّة بنيان اعتقادك ويقينك في خالقك.. وأنبيائه.. وأوليائه، لعدم كونك سُدى كالحيوانات.

وليس غرضي من ذلك الاشتغال بعلمي الكلام والحكمة ومراجعة كتبهما، بل أنهاك عن مراجعتها - قبل الكمال - أشدّ المنع، لأنّ فيهما سوفسطائية ربّما توقعك في الهاوية، بل ورد النصّ من أهل البيت عليهم السلام بالمنع عن مطلق مراجعتهما، بل غرضي مراجعة كتب العقائد للفاضل المجلسي قدّس سرّه.. ونحوها، وبناء عقائدك على براهين مورثة لليقين..

وكفاك في إثبات الصانع ما تراه من الآثار والعجائب وتدبير العالم، فإنّ الأثر لا بدّ له من مؤثر..

ولقد أجاد من قال:

ولله في كلِّ تحريكةٍ
وفي كلّ تسكينة شاهدُ
وفي كلّ شيءٍ له آيةٌ
تدلّ على أنّه واحد

وقال آخر:

فـي الأرض آيـات فـلا تـك مـنـكـراً

فـعـجـائـب الأشـيـاء مـن آيـاتـه

وإلى هذا المعنى أشار رئيس الموحدين أمير المؤمنين عليه آلاف الصلاة والسلام بقوله - في بعض خطبه -: «[لقد] زعموا أنّهم كالنبات ما لهم زارع ولا لاختلاف صورهم صانع، لم يلجأوا إلى حجّة فيما ادّعوا، ولا تحقيق لما أوعَوْا، وهل يكون بناء من غير بانٍ، أو جناية من غير جان».

وغرضه عليه السلام بذلك المقايسة بالمحسوسات، وتعليم طريق الإستدلال؛ بجعل منكر الصانع مدّعياً لمخالفة قوله الظاهر - وهو توقّف حصول الأثر على وجود المؤثّر - وجعل المنكر مدّعياً من ألطف آداب المناظرة.. لغناء المنكر حينئذٍ من تكلّف الاستدلال والنظر.. ففيما نحن فيه على مدّعي حصول هذه الآثار من غير مؤثّر إقامة البرهان، ونحن مستريحون من ذلك، لاستكشافنا وجود المؤثّر من وجود الآثار، وهذا المسلك مركوز في الأذهان، ولذا ترى الأعرابي استكشف وجود الباري تعالى بهذا الطريق، فقال: البعرة تدلّ على البعير، وأثر الأقدام على المسير، أفسماء ذات أبراج.. وأرض ذات فجاج.. لا تدلاّن على اللطيف الخبير؟! وكذلك صنعتِ العجوز، حتى أُمرنا بالأخذ بدينها من حيث كون استدلالها بالآثار على المؤثّر من أقوم السبل، وأمتن المسالك في إثبات الصانع.

ويكفيك بنيّ - جنّبك الله تعالى من الشرك والنفاق - في إثبات وحدة الصانع جلّ ذكره استقلال العقل باستلزام تعدّد الآلهة اختلافهما المؤدّي إلى فساد العالم، وعدم الانتظام، كما أرشدك الله تعالى إلى ذلك بقوله جَلّ ذكره: وقوله عزّ من قائل: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ [الأنبياء: ٢٢] وقوله عزّ من قائل: ﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ [المؤمنون: ٩١].

وهداك إليه أمير الموحدين صلوات الله عليه بقوله: «لو كان معه إله آخر لأتتك رسله».

فعلَّم عليه السلام أيضاً طريق الاستدلال بجعل منكر الوحدة مدّعياً من حيث كشف عدم الأثر - يعني عدم إتيان الرسل من قِبَل إله آخر - عدم إله آخر فمدَّعي وجود إله آخر يحتاج إلى البرهان، وأنّى له بذلك؟!.

وإنْ شئت قلت: إنه لو تعدّدت الآلهة للزم تميّز كل منهما عن الآخر، ومع التميّز فالاشتراك في جميع الآثار غير معقول، لعدم تعقل كون ما به الإمتياز [نفس] ما به الإشتراك، ففقد آثار التعدّد يكشف عن الوحدة؛ ضرورة أنه لو توقّفت الصانعيّة عليهما معاً لزم عدم كفاية أحدهما أوّلاً، وهو نقص في كليهما معاً، والإختلاف بينهما ثانياً، ولو كفى كلّ منهما في الصانعيّة خرج الآخر عن قوّة الصانعية التامّة.. وذلك فاسد.

ويكفيك بنيّ - وفقك الله تعالى للإخلاص به واليقين - في نفي الصفات السلبية عنه أنها نقائص، والناقص لا يكون واجب الوجود..

وقد أرشدك إلى برهان ذلك أمير المؤمنين عليه السلام في بعض خطبه بقوله: «كمال توحيده الإخلاص له، وكمال الإخلاص [له] نفي الصفات عنه، لشهادة كلّ صفة أنها غير الموصوف.

ويكفيك بنيّ - أرشدك الله جلّ شأنه إلى الصواب - في إثبات النبوّة المطلقة، قضاء ضرورة العقل من باب لزوم اللطف على الحكيم بلزوم واسطة بين الخالق - الذي هو فيض محض - وبين المخلوقات المحتاجين إلى الفيض، يرشدهم من قبله تعالى بأمر منه سبحانه وتعيين منه جَلّ شأنه إلى منافعهم، ويزجرهم عن مضارّهم، ويخبرهم بأوامره ونواهيه.. ضرورة عدم إمكان وصول أحد من الناس إلى درك المضارّ والمنافع - التي لا يدركها إلاّ الحكيم تعالى - إلاّ بالوحي والإلهام منه تعالى، وحصول الوحي لا يمكن بالنسبة إلى آحاد الناس المتوغّلين في الشهوات النفسانيّة المانعة من الالتفات إلى المبادىء العالية، فلا يليق هذا المنصب إلاّ بمن لم يكن في نوم الغفلة وسكر الهوى، ولم يكن أسيراً النفس الأمّارة، ولا في دار الظلمة طالباً للراحة، ولا مفنياً للعمر بالبطالة.. بل أكمل بالروحانيّات والمجاهدات نفسه، وغلب عليها عقله، واختصّ من بين الناس لذلك بالتوجّهات الخاصّة الإلهية، وتشرّف بمنصب النبوّة والرسالة.

ولا ريب في أنّ معرفة النبيّ والرسول صلى الله عليه وآله لا تمكن للآحاد بالوحي من ربّ الأرباب، فلا بدّ من إقامة المعجزة لإثبات النبوّة حتى تكشف عن ربط خاص بين صاحبها وبين واجب الوجود، وامتيازه عن غيره بمنصب من الخالق المعبود.

ويكفيك بنيّ - حفظك الله تعالى من الشرور - في إثبات النبوّة الخاصّة.. قضاء الشرورة بأنّ محمداً ﷺ ابن عبد الله الهاشميّ القرشيّ الجامع لصفات الكمال كافّة صلوات الله عليه وآله قد ادّعى النبوّة بمكّة؛ ودعى الناس إلى توحيد الله جَلّ شأنه، ونبوّة نفسه، وكونه خاتم الأنبياء، وأظهر معجزات كثيرة على دعواه..

يكفيك منها القرآن المجيد، وحيث إنّ إظهار المعجزات على يد الكاذب قبيح على الله تعالى وتقدّس، يحكم العقل بأنّه كان صادقاً.. فإذا ثبتت نبوّته، علمنا بنبوّة مائة ألف نبيّ وأربعة وعشرين ألف نبيّ هو خاتمهم بإخباره ﷺ.

وأما بيان كيفيّة كون القرآن الشريف معجزة.. فهو أنّه ﷺ خَيّر أهل خَبَرة لسان العرب، والعارفين بنكات الفصاحة والبلاغة؛ بين أن يأتوا بسورة من مثل القرآن، وبين أن يذعنوا بنبوّته، أو يحاربهم ويقتلهم ويتملّك أموالهم ويأسر عيالهم.. فلو لم يعجزوا عن الإتيان بمثله لأتوا به وخلّصوا أنفسهم وأموالهم وأعراضهم من قيد الإطاعة والعبوديّة، والتلف والسرف، فالتزام جمع منهم بالرقيّة والإطاعة، وآخرين بالحرب والقتل والنهب والأسر، يكشف عن عجزهم عن الإتيان بمثله.

وتوهّم أنّ المعجزة لا تتحقّق في الكلام.. غلط فاحش، ضرورة أنّ المعجزة هي ما يعجز عنه البشر لكونه خارقاً للعادة، وينكشف لذلك كونه عن ربط بواجب الوجود خاصّ، وعلقة به مخصوصة، والمدار في كون شيء خارقاً للعادة اعتراف أهل الخبرة بذلك، كاعتراف السحرة بالعجز عن إتيان مثل عصا موسى عليه السلام، فأهل خبرة الكلام القادرين

على إنشاء التركيبات الرشيقة، والتأليفات الدقيقة الرقيقة المحتوية على حلاوة اللفظ ولطافة المعنى، إذا اعترفوا قولاً أو فعلاً بعجزهم عن الإتيان بسورة من مثله، المريح لهم عن تكاليف الآتي بالقرآن، وأزالوا المعلّقات السبع عن البيت. . ثبت عندنا كونه معجزة له على الأمّة، وكفى بذلك حجّة بديعة.

وأما الولاية المطلقة؛ فيكفي برهاناً لها نظير برهان النبوّة المطلقة بعد ثبوت كون نبيّنا صلى الله عليه وآله خاتم الأنبياء.

وأما الولاية الخاصّة؛ فطريقها الأخبار الصريحة المتواترة عن النّبي ﷺ بخلافة عليّ أمير المؤمنين عليه السلام بلا فصل، وبعده أحد عشر من ذريته الأطهار. . واحداً بعد واحد عليهم السلام، مضافاً إلى الكرامات الكثيرة الصادرة من كل منهم.

ومكابرة أهل العناد في دلالة الأخبار مدفوعة بما سطر في الكتب المعدّة لذلك.

ولعمري إنّ إمامة الأئمة الإثني عشر بلغت في الوضوح إلى حدّ لا أظنّ ارتياب الخصم أيضاً في ضميره؛ وإنّ علماءهم ما بين شيعيّ في الباطن أو كافر بالنبي ﷺ، [أو جهله المطبق. . نعوذ بالله من الجهل ومن غلبة الهوى].

وأما المعاد؛ فالّذي اتّفق عليه أهل الملل إجمالاً هو الإذعان به وعدم إنكارهم له، وإن اختلف الحكماء والمتكلّمون في تفاصيله، ولا يمكن تكليف عامّة الناس بالعلم بتفاصيله، بل يكفي الاعتقاد بإجماله، والآيات ناطقة به هادية إلى طريق إقامة البرهان عليه، والأخبار به

متواترة، بل العقل مستقلّ إجمالاً بلزوم مجازاة العدل الحكيم للأعمال بهذه الأبدان والجوارح الصادرة منها الأفعال، حتى لا تزر وازرة وزر أخرى.

وفناء جسم لا ينافي عوده بعينه.. بعد قدرة الباري - تعالى جَلّ ذكره - على أن يحيي العظام وهي رميم؛ ضرورة أنّ إحياءها عيناً ليس بأصعب من إنشائها أول مرة من العدم الصرف، كما لوّح تعالى إلى ذلك[1].

وأيضاً يحكم العقل بلزوم كون المُعاد - بضم الميم - عين الجسم الصادر منه الأعمال، والأخبار الناطقة بذلك أيضاً متواترة، ودلالتها واضحة. وتأويلها ورفع اليد عن ظواهرها يوجب الإستهجان في كلام المخبر الصادق، تعالى عن ذلك علوّاً كبيراً، وشرح ذلك يطلب من مظانه.

---

(١) في كتابه: المجيد في سورة الأحقاف (٤٦) آية: ٣٣ بقوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ ۚ بَلَىٰ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.
وبقوله تعالى في سورة يس آية: ٧٨ - ٨٣ ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ ۖ قَالَ مَن يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ ﴿٨٠﴾ أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ ﴿٨١﴾ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾﴾.

الفصل الثاني

في الحث على طاعة الله سبحانه
والتحذير من المعصية والكسل، وصرف العمر
فيما لا ينبغي وجملة أخرى من الوصايا

اعلم بنيّ - وفقّك الله جَلّ شأنه لطاعته، وعصمك من مخالفته - إنّ الله سبحانه وتعالى يحبّ كافّة مخلوقاته حُبّاً شديداً، كما هو الشأن في كلّ صانع بالنسبة إلى صنعته، وأنّه ﷻ إنّما أوجب الواجبات، وسنّ المستحبات والآداب، وحرّم المحرّمات، ونزّه عن المكروهات. . جلباً للمصالح إلى عباده، ودفعاً للمضارّ عنهم، وإلاّ فلا تضرّه عصيان العاصي، ولا تنفعه طاعة المطيع، ولقد أجاد من قال بالفارسية:

گر جمله كائنات كافر گردند

بر دامن كبرياش ننشيند گرد[1]

لأنّه تعالى غنيّ على الإطلاق، وإنّما مقصده من تشريع الأحكام إصلاح حال العباد، وإيصال النفع إليهم، ودفع الضرر عنهم في المبدأ والمعاد. وإذا كان كذلك فترك الإنقياد لأوامره ونواهيه - مع كونه مخالفاً للعقل المستقلّ بوجوب شكر المنعم وإطاعة المولى - يكون سفهاً، لكونه تركاً لما يرجع نفعه إلى النفس، وإدخالاً للضرر على النفس، وتفويتاً للمنافع عليها وظلماً لها.

فإيّاك بنيّ والعصيان، فإنّه يجلب إليك خذلان الدّنيا وعذاب

(١) [وترجمته: لا يمس كبرياءه وجلاله سبحانه فيما لو قدر الكفر لجميع الكائنات (ما سوى الله)].

الآخرة.. ألا ترى إلى جدّنا آدم عليه السلام بخطيئة واحدة طُرد من الجنّة.

ولقد أجاد من قال بالفارسية:

جدّ تو آدم بهشتش جاى بود

قدسيان كردند بهروى سجود

يك گنه چون گفتندش تمام

مذنبي؛ مذنب بروبيرون خرام[1]

وألحقت به قولي:

تا تو دارى وقت اي عالى جناب

سوى توبه كن زذنب خود شتاب

تا بشوئى از خودت چركـ گناه

وازگناه خويش باشى در پناه[2]

وإيّاك بنيّ: والكسل والبطالة ومقدّماتهما، فقد قيل: إنّ الشيطان والنفس الأمّارة إذا عجزا عن أن يُزيّنا القبيح ويقبّحا الحسن من الأعمال، توجّها إلى أعمال ما يؤدّي إلى الكسل والبطالة ممّا هو زائد على مقدار الضرورة والحاجة.. من الأكل والشرب والنوم والراحة وجمع المال وصرف الأوقات في التفرّجات والتنفّسات والمخالطات

(١) حاصل ترجمته: عندما كان جدك آدم عليه السلام في مقام قرب والجنة استحق سجود الملائكة له، إلاّ أنّه بذنب واحد منه استحق الإخراج منها، وأن يُعدّ مذنباً بتركه الأولى].

(٢) بمعنى: ما دام الوقت متسعاً لك أيها السيد المحترم فعليك بالمبادرة إلى التوبة كي تغسل ما عليك من أدران الذنوب، وتصبح محفوظاً من عواقب عصيانك.

والمكالمات وغيرها، فيريّنان كلّ واحد منهما حتى يرتكبه العبد، ويحصل له منه الكسالة والبطالة، وتضييع الأوقات الشريفة.

وإيّاك بنيّ وصرف العمر فيما لا ينبغي ولا ينفعك في الآخرة، لأنّ كلّ آنٍ من آنات عمرك جوهرة ثمينة، بل أعزّ منها، لإمكان تحصيل الجوهرة بالكسب والكدّ دون العمر، فإنّ الأجل إذا جاء لا يستأخر ساعة. . فإيّاك - بنيّ - من إذهاب هذه الجوهرة هدراً وضياعاً.

ولقد أجاد القائل بالفارسية:

كاشكى قيمت انفاس بدانستندى

تادمئ چندكه مانده است غنيمت شمرى[1]

وقال آخر:

گربدانى در عقبها چيستند

فرصت خاريدن سرنيستند

هرچه بينى درجهان دارد عوض

واز عوض گرددتورا حاصل غرض

بى عوض دانى آه باشد درجهان

عمر باشد عمر قدر آن بدان[2]

---

(١) وحاصل ترجمته: يا ليتك كنت تعرف قيمة أنفاسك كي تغتنم ما بقي من عمرك!.

(٢) [بمعنى: لو كنت تعلم ما هناك من عواقب تنتظرك لما سمحت لك الفرصة أن تخلل شعر رأسك، وكل ما في الوجود له ما يعوّضه وسدّ مسده ممّا يحقّق لك الغرض الذي تتوخّاه منه، وهل تعلم أنّ الذي لا عوض له في هذا العالم ما هو؟ ذاك هو العمر فاعرف قدره جيداً!].

واغتنم بنيّ شبابك قبل هرمك، وصحّتك قبل سقمك، وقوّتك قبل ضعفك، وغنالك قبل فقرك، وفراغك قبل شغلك، وحياتك قبل موتك.

فبادر شبابك قبل أن تهرما

وصحّة جسمك قبل أن يسقما

وأيّام عمرك قبل الممات

فما كُلّ من عاش أن يسلما

وقدّم فكل امرء قادم

على كل ما كان قد قدّما

وقد ورد أنّ أهل الجنّة لا يندمون على شيء من أمور الدنيا إلاّ على ساعة مرّت بهم في الدّنيا لم يذكروا الله سبحانه فيها، وأنّه ليس نفس بَرّ ولا فاجر إلاّ وتلوم نفسها يوم القيامة، إنْ كانت عملت خيراً قالت: هلاّ ازددت حتى أنال مرتبة أعلى من مرتبتي، وإنْ عملت سوءً قالت: يا ليتني لم أفعل حتى لا أعذّب.

وقال ﷺ لأبي ذرّ: «كن على عمرك أشحّ منك على درهمك ودينارك».

وورد أنّ «من أفضل الطاعات حفظ الأوقات».. وإن «من ضيّع أيام حرثه ندم أيّام حصاده».

وإلى ذلك أشار من قال بالفارسية:

نندارم اى در جهان كِشته جو

كه گندم يآيني بوقت درو

وقال آخر:

بكوش امروز تا تخمى بكارى

كه فردا بر جوى قدرت ندارى[١]

اگر اين كشتكارى رانورزى

در آن خر من به يك ارزن نيرزى[٢]

فالله الله بنيّ في عمرك فلا تضيّعه فيما لا ينفعك بعد الموت.

وورد أنّ العاقل من يعمل في يومه لغده قبل أن يخرج الأمر من يده، وإن الكيّس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت، والأحمق من اتبع نفسه هواها وتمنّى على الله المغفرة.

وما مَثَل من صرف عمره فيما لا ينفعه في الآخرة إلاّ مَثَل من ترك جواهر نفيسة ملقاة على وجه الأرض واشتغل بقلع أحجار وأخزاف منصوبة ومدفونة بمشقّة في قلعها شدّ يده ليلعب بها الأطفال.

فيا ولدي، ويا نور بصري، وفلذة كبدي، اعرف قدر عمرك ولا تفنه فيما لا ينجيك. . ولا تكن كدود القزّ يسعى في هلاك نفسه.

ثم أوصيك بني - وفقك الله تعالى لكلّ خير، وجنّبك من كل شرّ - بمكارم الأخلاق، ومحامد الأوصاف، وهي أمور:

---

(١) وحاصل ترجمته: لا تحسب أنك في هذا العالم حيث بذرت شعيراً أن تحصد بدلاً منه حنطة!.

(٢) وترجمته: أسعى اليوم أن تبذر بذراً، إذ قد تعجز غداً من أن تحصل على شعير، ولو لم تهتم بهذه المزرعة اليوم فلا تُقيّم غداً بمثقال ذرة ولا تستوى عند الحصاد بدخنة].

فمنها:

حفظ اللّسان

حفظ اللسان عمّا لا يعنيك فإنّ أكثر خطايا ابن آدم لسانه، وما من عضو له ذنوب متعدّدة كثيرة مثل اللسان. وإنّ الصمت باب من أبواب الحكمة فاحفظ لسانك إلاّ من خير يجرّك إلى الجنة.

وقد ورد أنّه لا يزال العبد المؤمن يُكتب محسناً ما دامه ساكتاً.

وإنّ من أراد سلامة الدارين فليحفظ لسانه.

وهل يُكبّ الناس على مناخرهم في النّار إلاّ حصائد ألسنتهم؟!.

وأنّه إذا أراد الله تعالى بعبد خيراً أعانه على حفظ لسانه، وشغله بعيوبه عن عيوب غيره.

وأنّ من قَلّ كلامه كمل عقله وصفى قلبه، ومن كثر كلامه قلّ عقله وقسى قلبه.

وأنّه «لا يستقيم إيمان عبد حتّى يستقيم قلبه، ولا يستقيم قلبه حتّى يستقيم لسانه. لأنّ لسان المؤمن وراء قلبه، فإذا أراد أن يتكلّم يتدبّر الكلام، فإنْ كان خيراً أبداه، وإنْ كان شرّاً واراه، والمنافق قلبه وراء لسانه، يتكلّم بما أتى على لسانه ولا يبالي ما عليه ممّا له».

وأنّ «الصمت لا يورث الندم»، و«رُبَّ كلام يورث الندم في الدّنيا والآخرة». وأنّ «المرء مخبو تحت لسانه».

فَزِنْ بنيّ كلامك قبل أن تنطق به، واعرضه على العقل والمعرفة فإنْ

كان لله وفي الله فتكلّم به، وإلاّ فالسكوت السكوت. . الصمت الصمت. . الخرس الخرس. . .

ولقد أجاد من قال:

زبان، بسيار سر بر باد داده است

زبان، مارا عدوّی خانه زاد است[1]

وقال آخر:

دو گوش بدادند یکی تیغ زبان

یعنی که دو بشنو ویکی بیش مگوی[2]

وقد ورد أنّه م من يوم إلاّ كلّ عضو من الأعضاء يخاطب اللّسان ويقول له: أقسمك بالله تعالى أن لا تلقني في العذاب.

وقيل إنّه لو خلّي التكلّم والسكوت وطبعهما فالكلام من فضّة والسكوت من ذهب. وعليه يحمل قول مَنْ قال:

إنْ كان مِنْ فضةٍ كلامُكِ يا

نَفْسُ إن السكوت من ذهب

نعم، قد يكون الكلام ذهباً لعارض والسكوت تراباً، كالتكلّم بالفقه والوعظ والآداب الشرعية والأخلاق المرضية، بل قد يكون السكوت

(١) وحاصل ترجمته: إن اللسان؛ أرسل الكثير من الرؤوس إلى خشبة الاعدام؛ إذ كان اللسان له عدواً منذ القدم.

(٢) [معناه: قد أعطيت أذنين ولسان واحد، بمعنى أنه يلزمك أن تسمع مرتين ولا تقول أكثر من مرة واحدة، أي يلزم أن يكون مسموعك أكثر من كلامك].

سمّاً قتّالاً، كالسكوت عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإرشاد المسترشد. . . وفّقك الله تعالى لمراضيه، وجعل مستقبل حالك خيراً من ماضيه.

ومنها:

محاسبة النفس

محاسبة النفس في كلّ ليلة، **فعليك بنيّ** - رزقك الله تعالى خير الدارين - بأن تحاسِب نفسك قبل أن تُحاسَب، فكما يحاسب التاجر مع عامله حتى يعلم ما فعل في يومه، فحاسِبْ نفسك في كل ليلة قبل النوم حتّى تعلم ما فعلت فيها وفي النهار المتقدّم عليها.

فإنْ رأيت منها تقصيراً - بفعل معصية أو ترك طاعة - فاستغفر منه وتُبْ وتضرّع إلى الله تعالى في العفو عنه، واجبر الفائت بالقضاء والإستغفار. .

وإنْ رأيت منها فتوراً وبطالة وغفلة وإضاعة لرأس المال، فأدّبها بسوط النصيحة والموعظة، وألزمها طرق الطاعة، ثم راقبها كالتاجر حتى لا تضيّع أوقاتها بالغفلة، ولا تبيع عمرها بثمن بخس أو خسارة. . .

وإنْ رأيت منها معاملة حسنة ومداقة تامّة في صرف أوقاتها، فاشكر الله تعالى على ذلك، واطلب منه أن يزيدها توفيقاً وهدى.

وقد ورد عنهم عليهم السلام: «أنه ليس مِنْ شيعتنا من لم يحاسِب نفسه كلّ يوم، فإن عمل حسنة استزاد الله، وإن عمل سيئة استغفر الله منها وتاب».

ونقل إنّ الخواجة ربيع وضع عنده قلماً وقرطاساً وكان يكتب كلّما يقول ويفعله من أوّل اليوم إلى وقت نومه في الليل، ثم ينظر فيه. . فما كان من الطاعات يشكر الله تعالى له، وما كان من القبائح يستغفر الله تعالى منه.

وعن صحف إبراهيم عليه السلام: إنّ على العاقل - ما لم يكن مغلوباً على عقله - أن يكون له أربع ساعات: ساعة يناجي فيها ربّه، وساعة يحاسب فيها نفسه، وساعة فيها يتفكّر فيما صنع الله تعالى إليه، وساعة يخلو فيها بحظ نفسه من الحلال. . فإنّ هذه الساعة عون لتلك الساعات، واستجمام القلوب توديع لها.

ومنها:

مراقبة النفس

المراقبة؛ **فعليك بنيّ** بها بملاحظة حضور الربّ واطّلاعه عليك في كلّ حالاتك وحركاتك، وأفعالك وأقوالك، وأنفاسك وخطراتك، وخطواتك ولحظاتك، فآثِرْ ما آثره الله سبحانه، واخترْ ما اختاره الله تعالى.

وقد حكي أنّ لقمان قال لابنه: يا بنيّ! إذا راقبت الله تعالى لم تقدم على معصية أبداً، لأنّه بمجرد التفاتك إلى أنّه يراك ويطّلع عليك يمنعك الحياء من مخالفته.

ومنها:

التفكر

فأوصيك بنيّ به، فإنه من أعظم أسباب تنبّه النفس، وصفاء القلب، وله مدخل عظيم في رفع الكدورات، وكسر الشهوات، والتجافي عن دار الغرور، والتوجّه إلى دار الخلود والسرور، وأنه رأس العبادات ورئيسها، ولُبّ الطاعات بل وروحها.

وقد ورد أنّ أفضل العبادة التفكّر في الله تعالى وفي قدرته.

وعلّل بأنّ الفكر يوصل العبد إلى الله سبحانه، والعبادة توصله إلى ثواب الله ﷻ، والّذي يوصل إليه تعالى خير ممّا يوصل إلى ثوابه، وبأنّ الفكر عمل القلب، والعبادة عمل الجوارح، والقلب أشرف من سائر الجوارح، فعمله يقتضي أن يكون أشرف من عمل سائر الجوارح.

وورد أنّ «تفكّر ساعة خير من عبادة سنة».. أو ستين سنة.. أو سبعين سنة.. على اختلاف الروايات المحمول على اختلاف مراتب التفكرات.

وأنّ من التفكّر ما ينجي الإنسان من النّار، كما نجى الحرّ بن يزيد الرياحي بتفكّر ساعة.. ولو كان قد تعبّد سنة - بل سنين - لم تكن عبادته تنفعه مع ما كان عليه، ولكن تفكّر ساعة نفعه ونجّاه، ولذا جعل تفكّر ساعة خيراً من عبادة سبعين سنة.

وورد أنه ليست العبادة كثرة الصلاة والصوم، وإنّما العبادة التفكّر في الله سبحانه.

فعليك بنيّ بالتفكّر تارة في حال الماضين، وأنّهم من أين جاءوا؟ وإلى أين ذهبوا؟ وما صحبوا؟ ولمَنْ تركوا؟ وبما اشتغلوا؟ وكيف عن دنياهم انقطعوا؟ وعن نعيمها حرموا.. ومَنْ كان لا يطأ التراب برجله، وكان ينام على الديباج والحرير، ويمشي على الأرض مرحاً.. كيف فارق المال، وترك العيال والأطفال، والقصور والديار، والخدم والحشم، ولبس الكفن، ووضع خدّه اللطيف النظيف على التراب، وصاحَبَ الدود والحيّات، وسكن القبر المظلم وحيداً فريداً؟!.

وأخرى؛ في أنّ الموت يأتي بغتة، وله ساعة إذا جاءت لا يستأخرون عنها، ودقيقة لا يُمْهَلون بأُخرى عند حضورها. فكنْ مِنه في كل آنٍ على حذر، وحضّر له نفسك قبل أن يخرج الأمر من يدك، ولا تتساهل في التهيؤ له بالتوبة والعمل، ولا تكن منها في غفلة، وكم من أناس أدركهم الموت بغتة لم يكن لهم لذكر الله سبحانه والإستغفار مهلة. فاحذر من أن تكون كذلك فتكون حينئذٍ من أهل الحسرة والندم على تأخير التوبة والإنابة، وقول: ﴿رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّيٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ﴾ [المؤمنون: ٩٩، ١٠٠].

وثالثة: في أنّ الدّنيا ليست إلاّ دار عناء وتعب، ومشقّة ومحنة ونصب، وأنّ صفوتها بكدورة، وراحتها مقرونة بعناء، وأنّ الله لم يخلق فيها راحة، كما قال تعالى في الحديث القدسي: «إنّ عبادي يطلبون منّي شيئاً لم أخلقه وهو الراحة في الدّنيا، ويَدَعون طلب ما خلقته وهو النعيم المقيم»..

فإنّك - **بنيّ** - إذا تفكّرت في ذلك هَان عليك ما تلقاه من شدّة،

ورغبت في عمل الآخرة، والتفتّ إلى أنّه إذا كان لا بدّ في الدنيا من التعب والمشقّة فتحمُّل المشقّة للنعيم الدائم أولى وأهون.

ورابعة: فيما تستقبله قريباً من عوالم ما بعد الموت.. من القبر، والبرزخ، والحشر، والنشر، وتطاير الكتب، وتجسّم الأعمال والعقائد، والحساب، والصراط، والميزان، وما أعَدّ الله للمتّقين والمجرمين من الجنّة وأنواع نعيمها والنار وأقسام عذابها.

وخامسة: في أنّه لا ينفع من مالك إلاّ ما قدّمت صرفه في سبيل الله تعالى، وأنّك لا تصحب شيئاً منه إلاّ مقدار كفنك، وأنّ ولدك وعيالك وأطفالك وأحبّاءك وأقاربك لا ينفعوك إلاّ بإضجاعك في حفرتك، وتسليمك إلى عملك، وأنّ ما ينفعك إنّما هو ما عملتَه لوجه الله سبحانه، فإنّه يصاحبك ولا يفارقك. فإنّك إذا تفكرت من الجهات المذكورة، أكثرت من الأعمال الحسنة، وأخلصت فيها النيّة، ونجوت من الهلكة، وقدّمت لغدك قبل أن يخرج الأمر من يدك.

وقد ورد أنّ أفضل الزهد في الدنيا ذكر الموت، وأفضل العبادة ذكر الموت، وأفضل التفكّر فكر الموت.

ومَن غفل عن ذكر الموت صرف عمره فيما لا يعنيه، ومَن لازم ذكر الموت صرف عمره فيما ينفعه، وأنه لأَحْسَنُ واعظ، وأسرع زاجر، وكفى بذكر الموت حُسْناً، إنّه يهوّن الضيق والعسر على من ابتلي به، ويقيم الغني على الجود بماله الموجب للأجر، ويثبّط العبد عن الإشتغال بما لا ينفعه.

ولقد أجاد من قال: إنّه مهوّن للمصاب، ومرغّب فيما ينفع يوم

الحساب، وملزم بالتوبة قبل الموت، والتدارك قبل الفوت، وقاطع للأمل، ومانع من الفرح بـ: لَيْتَ ولعلّ.

ومنها:

الصبر والشكر والرضا

الصبر على البلاء، والشّكر على النعماء، والرّضا بالقضاء.

فأوصيك بنيّ بذلك، فإنّه من أعظم أسباب الفرج، وأنّ عباداً نالوا المراتب العالية في الدّارين به، كما لا يخفى على من راجع حال الماضين.

ولقد أجاد من قال:

تَـرَدَّ رِدَاء الـصـبـر عـنـد الـنـوائـب

تَنَلْ من جميل الصبر حسن العواقب

واجعل بنيّ نفسك طيّبة بالصدمات على نحو طيبها بالنعم.

واجعل كلّ ما يختاره لك من الصحّة والسقم، والعافية والبلاء، والشباب والهرم، والقوّة والضعف، والغنى والفقر. . ونحوها محبوباً لك، لأنه ممّا اختاره لك حكيم عالم بالعواقب، محبّ لك، أرأف [بك] من أبويك نفسك. . فهو عين صلاحك.

واحبس بنيّ نفسك من الجزع عند المصيبة والمكروه، والفزع منه، وارضَ بما يفعله الحكيم الرؤوف تعالى شأنه، واترك الشكوى والإخبار بالسوء بما يصيبك. وقد نُقل أنّ سيد الساجدين عليه السلام قال:

فإذا بليت بعشرة فاصبر لها

صبر الكريم فإنّ ذلك أحزم

لا تشكونّ إلى الخلائق إنما

تشكو الرحيم إلى الّذي لا يرحم

وطيّب بنيّ نفسك بالضرّاء كطيبها بالسرّاء، وبالفاقة كطيبها بالغناء، وبالبلاء كطيبها بالعافية.. وهكذا.

وقد قالوا عليهم السلام ما معناه: إنّ الصبر صبر على ما تكره من بلاء وشدة، وصبر على طاعة الله سبحانه، وهو أفضل من الأول، وأفضل منه الصبر على ترك ما حرم الله تعالى.

ورُوي عن النّبي صلى الله عليه وآله أنه قال: «إن مَنْ صبر على المصيبة حتى يردّها بحسن عزائها، كتب الله له ثلاثمائة درجة ما بين الدرجة إلى الدرجة كما بين السماء والأرض. ومن صبر على الطاعة كتب الله له ستّمائة درجة، ما بين الدرجة إلى الدرجة كما بين تخوم الأرض إلى العرش. ومن صبر على المعصية كتب الله له تسعمائة درجة ما بين الدرجة إلى الدرجة كما بين تخوم الأرض إلى منتهى العرش».

مراتب الصبر وأنواعه

وقد ذكر علماء الأخلاق للصبر مراتب:

الأولى: الصبر على الركون إلى ما يوافق الهوى.. من الصحّة

والسلامة، والمال والجاه، وكثرة العشيرة، واتّساع الأسباب، وسائر ملاذّ الدنيا. وما أحوج العبد إلى الصبر عن هذه الأمور، وضبط نفسه عن الركون إليها والإنهماك فيها، المؤدّي إلى الطغيان.

الثانية: الصبر على الطاعة. . وهو شديد؛ لأنّ النفس بطبعها تنفر العبوديّة، وتشتهي الربوبيّة. ولذلك قيل: ما من نفس إلاّ وهي مضمرة ما أظهره فرعون، ولكن فرعون وجد مجالاً فأظهره. وما من أحد إلاّ ويدّعي ذلك مع عبيده وخدمه وأتباعه وإن كان ممتنعاً من إظهاره، ولذا ترى غيظه عند تقصيرهم في خدمته، فإنّ ذلك ليس إلاّ من الكبر.

واعلم بنيّ إنّ الصبر على الطاعة لازم قبل العمل وحاله وبعده:

أمّا قبله: فلتصحيح النيّة.

وأمّا حاله: فلأن لا يغفل عن ذكر الله تعالى، ولا يستعمل الرياء.

وأمّا بعده: فلأن لا يستعمل العُجْب ونحوه ممّا يفسده.

الثالثة: الصبر عن ارتكاب المعاصي؛ فإنّ العبد في غاية الحاجة إلى ذلك، وذلك أنّ المعاصي - سيّما الكذب والغيبة والنميمة والبهتان - مألوفة بالعادة، والعادة طبيعة ثانية، فإذا انضافت إلى الشهوة تظاهر جندان من جنود الشيطان على جند الله ﷻ، وكلّما كن الذنب ألذّ على النفس كان الصبر عنه أصعب.

الرابعة: ما ليس هجومه تحت اختياره - كما لو أوذي بفعل أو قول؛ فإنّ الصبر عليه يترك المكافأة حسن جميل.

فعليك بنيّ بالصبر عمّن أساء إليك، وإيكال الأمر إلى الله سبحانه،

وعدم التعرّض للمسيء بوجه وإنْ قدرت على أخذ الثأر والمكافأة؛ فإنّ التجربة الأكيدة - فضلاً عن الأخبار - قد قضت بأنّ الله تعالى خير مكافيء في الدّنيا قبل الآخرة، وخير منتصر للمظلوم من الظالم ولو بعد حين.

الخامسة: ما لا يدخل تحت الاختيار أوّله ولا آخره: كالمصاب في مثل فقد الأعزّة والأحباب، وتلف الأموال، وزوال الصّحة، وعمى العين، وفساد الأعضاء، والفقر والفاقة.. وأشباه ذلك. والصبر على ذلك صعب غالباً، ولكن أجره عظيم، حتّى قال جَلّ ذكره: ﴿ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَـٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُوْلَـٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾﴾ [البقرة: ١٥٦-١٥٧].

واعلم بنيّ رزقك الله تعالى الصبر بأقسامه - أنّ الصبر عند المكاره يحصل بملاحظة أمور تجعل مرارته عند أهله أحلى من العسل:

أحدها: ما ورد من جزيل الثواب الأخروي؛ فقد استفاضت الأخبار بأنّ الصابرين يدخلون الجنة بغير وقوف في العرصات، ولا نصب ميزان، ولا نشر ديوان ولا حساب.

وورد أنّ: «من صبر نال بصبره درجة الصائم القائم، ودرجة الشهيد الذي قد ضرب بسيفه قدّام آل محمّد ﷺ».

وأنّ «الصبر على الفاقة جهاد»، وأنّه «أفضل من عبادة ستين سنة».

وأنّ «من ابتلي من المؤمنين ببلاء فصبر عليه كان له مثل أجر ألف شهيد..».

. . إلى غير ذلك من الأجور المتقدّم بعض منها.

ثانيها: ما يترتب عليه بالتجربة من نيل المراتب العالية.

ثالثها: تفاني المحنة بمرور الآنات، وفناء العمر على كلّ حال، وأنّ الساعة التي تمضي لا يبقى سرورها ولا ألمها، والّتي تأتي لا تدري ما هي، وإنّما هي ساعتك الّتي أنت فيها.

رابعها: عدم نتيجة للجزع والفزع والشكوى إلاّ قلّة الأجر، فإنّ المقدّر كائن، وقضاء الله لا يُرَدّ ولا يُبدَّل، والعبد مملوك لا يقدر على شيء أبداً.

خامسها: ملاحظة حال الممتحَنين بأعظم من امتحانه، الصابرن عليه أجمل صبر.

سادسها: ملاحظة أنّ الابتلاء من السعادة، وأنّ البلاء للولاء، بل شدّة البلاء للمؤمن تكشف عن شدة القرب إليه تعالى.

سابعها: تذكّر أنّ ذلك من الحكيم الرؤوف، وأنّه لا يختار لعبده إلاّ ما فيه صلاحه، وأنه غنيّ على الإطلاق، وأنه على كلّ ما يشاء قدير.

ثامنها: تذكّر أنّ ذلك تزكية لنفسه.

تاسعها: أنه لا أثر للشكوى إلاّ فرح العدوّ وحزن الصديق.

عاشرها: أنّ الصبر محمود العاقبة حتّى في الدنيا، كما يستفاد من الأخبار وقضايا الصابرين، ألا ترى أنّ صبر يوسف عليه السلام عن معصية الله تعالى وعلى المحن كيف أدّى إلى بلوغه الغاية القصوى من العزّ، ومن تَصيير الجبّار العاتي له عبداً أن كان له مالكاً، والاخوة له حُقراً، وزليخا

له ذليلة جالسة في طريقه، ونال منها بنهاية العزّ بعد عود شبابها وجمالها وعينها إليها، كما لا يخفى على من راجع الأخبار الواردة في تفسير السورة.

وكذلك أيّوب عليه السلام؛ رَدّ الله - بصبره - إليه ما فاته من الصحّة والأولاد والأزواج، وأعطاه أموالاً جزيلة، وأمطر في داره جراداً من ذهب.

وقضايا حسن نتيجة الصبر كثيرة مذكورة في المفصّلات.

وعليك بنيّ عند المصيبة بتذكر مصائب أهل البيت عليهم السلام؛ إذ ما من مصيبة إلاّ وفيهم أتمّ فرد منها، فإذا تذكّرت مصائبهم العظام - وهم سادات الأنام، ولأجلهم خُلِقت الدنيا ومَنْ فيها - هانت عليك مصيبتك، ولقد أجاد من قال:

أنْسَتْ رزيّتكم رزايانا الّتي

سَلَفَتْ وهوّنت الرزايا الآتيهْ

وإيّاك بنيّ أن يكون صبرك صبر بعض العوام، وهو حبس النفس على وجه التجلّد، فإنّه رياء محض، بل ليكن صبرك - أقلاً - صبر المتّقين؛ وهو ما كان لتوقّع أجر الآخرة، وأجود منه صبر العارفين، وهو التلذّذ بالمكروه وبالنظر إلى كونه من المحبوب الرؤوف العالم بالعواقب.

واعلم بنيّ أنّ الصبر لا ينافي البكاء على المصيبة، ألا ترى إلى أنّ سيد الكونين صلوات الله عليه وآله بكى في وفاة ولده إبراهيم، فقيل له

ما معناه: إنك تأمرنا بالصبر فما هذا البكاء؟ فزجر ﷺ القائل بقول معناه -: «ويحك! القلب يحترق، والعين تدمع، وإنّما لا نتكلم بما يسخط الربّ ولا يرضيه».

وعليك بنيّ عند المصيبة من إكثار الإسترجاع كي يكون لك بمقتضى الاية الكريمة صلوات من ربّك ورحمة، وتكون مِن المهتدين، وإكثار تذكّر الصابرين السابقين حتى يكون الصبر مَلَكة لك.

واعلم بنيّ أنّه قد رُوي عن مولانا الصادق عليه السلام: أنّ عند فناء الصبر الفرج، والتجربة أيضاً تشهد بذلك، وبأنّ لكل عسر يسراً.

ولقد أجاد من قال:

وكم للهِ من لطفٍ خفيّ
يَدقُّ خفَاه عن فهم زكيّ
وكم يُسر أتى من بَعْد عُسر
ففرّج كربة القلب الشَّجيّ
وكم أمر تُسَاءُ به صباحاً
فتأتيك المَسرّةُ بالعشي
إذا ضاقت بك الأحوالُ يوماً
فثِقْ بالواحدِ الفَردِ العَليّ
ولا تجزع إذا ما نابع خَطبٌ
فكم للهِ من لطفٍ خفيّ

بل ورد أنّ لكل عسر يسرين، كما قال الشاعر:

إذا ضـــاقـــت بـــك الـــدنـــيـــا

تـــفـــكـــر فـــي ألـــم نـــشـــرح

تـجـد يـســريـن بـعـد الـعـســر

إنْ فـــكّـــرتـــه تـــفـــرح

واعلم بنيّ أنّ جملة من محامد الأخلاق ترجع إلى الصبر، لكن له بكل مورد من موارده اسماً:

فإنْ كان صبراً عن شهوة البطن والفرج سمّي (**عِفَّة**).

وإنْ كان كل على احتمال مكروه؛ اختلف أساميه باختلاف المكروه الذي عليه الصبر.

فإنْ كان مصيبة اقتصر على اسم (**الصبر**)، ويضادّه: الجزَع.

وإنْ كان في ترك معصية سمّي (**بالتقوى**).

وإنْ كان في احتمال الغنى سمي (**ضبط النفس**)، ويضادّه: البَطَر.

وإنْ كان في حرب ومقاتلة سمّي (**شجاعة**)، ويضادّه: الجبن.

وإنْ كان في كظم الغيظ والغضب سمّي (**حِلماً**)، ويضادّه: السفَه.

وإنْ كان في نائبة من نوائب الدنيا سمّي (**سعة الصدر**)، ويضاده: الضجَر، والتبرُّم، وضيق الصدر.

وإنْ كان في إخفاء كلام سمّي (**كتمان السرّ**)، ويضادّه: إفشاء السرّ.

وإنْ كان في فضول العيش سمّي (**زهداً**)، ويضادّه: الحِرْص.

وإنْ كان صبراً على قدر يسير من الحظوظ سمّي (قناعة)، ويضادّه: الشرَه.

. . إلى غير ذلك من الموارد المشروحة في المفصلاّت.

ومنها:

التوكّل

فكن بنيّ وفقك الله تعالى لخير الدارين - في جميع أمورك متوكّلاً على الله تعالى واثقاً به، لأنّ مجاري الأمور جميعها بيده، وتحت قضائه وتقديره. فبالتوكّل عليه تستريح من الهموم وتعب السعي. فإنّ بين السعي والوصول عموماً من وجه، فإن وافق القضاء السعي اجتمعا، وإن خالفه افترقا، ففي افتراقهما وعدم النيل تتألم، وفي اتّفاقهما تنال تعباً، بخلاف ما إذا توكّلت على الله تعالى، فإنّه إنْ اقتضى التقدير حصول مرادك نلته بغير تعب، وإنْ اقتضى عدمه لم تكن تاعباً بالطلب والسعي حتى تتحسّر على التخلّف، وقد فسّر قوله عز من قائل: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾ [يوسف: ١٠٦] في أخبار أهل البيت عليهم السلام بالنظر إلى الأسباب.

فتوكّل بنيّ في أمورك على اللطيف الخبير، صاحب القضاء والتقدير، واترك الأسباب والاعتماد على غير الله سبحانه، وافرض من سواه تعالى أعجز من البعوضة.

ولا يخدعك ما يستند إليه القاصرون من أنّ الله [تعالى] أبى أن يجري الأمور إلاّ بأسبابها، فإنّ ذلك ناشٍ من عدم نيل المراد بذلك،

فإنَّ المراد به أنّ الأمور لا تحصل بغير الأسباب، وأين ذلك من اعتبار تسبيب الأسباب من غير سبب. فالّذي أبى جريان الأمور بغير أسبابها هو الذي يسبّب الأسباب على مقتضى تقديره من غير تسبيب العبد.

ولا يغرّنك ورود الأوامر الأكيدة - في غير طالب العلم - بطلب الرزق، فإنّ ذلك لإقامة نظم العالم المطلوب لربّ العالمين جلّ شأنه، ولذا ترى ورود الأوامر الأكيدة بالاقتصاد فيه وعدم الإفراط.

فكن بنيّ في جميع أمور دنياك - من الرزق والعزّ... ونحوهما - معتمداً على الله سبحانه، واثقاً به، معرضاً عن الأسباب، موكلاً للأمر إلى مسبّبها، كما قال الشاعر الناصح:

كن عن أمورك معرضاً
وكِل الأمور إلى القضا
فلربّما اتّسع المضيق
وربّما ضاق الفضا
ولربَّ أمر مُتْعِب
لك في عواقبه رضا
الله يفعل ما يشا
فلا تكن متعرّضا
الله عوّدك الجميل
فَقِسْ على ما قد مضى

نعم، إن لم تكن طالب علم، فعليك بالكسب بمقدار رفع حاجتك

مقتصداً فيه أيضاً، بل المستفاد من الأخبار والتجربة الأكيدة، إنّ تارك الأسباب المتوكّل على الله أحسن حالاً من مرتّبها، وإنّ تسبيبها - سيّما ممّن يحبّه الله ﷻ - يوجب إعراض الله تعالى عنه، وإيكاله إلى نفسه، بل منع الأسباب من أن تؤثّر.

وكفاك بنيّ في ذلك ما ورد من أنّ يوسف عليه السلام لو لم يقل: ﴿ٱجۡعَلۡنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلۡأَرۡضِۖ﴾ [يوسف: ٥٥] لَوَلاَّه من ساعته، ولكنه لما سعى في حقّ نفسه، أخّر الله تعالى ذلك سنة. وأنّ اعتماده على أحد صاحبيه في السجن، بقوله: ﴿ٱذۡكُرۡنِي عِندَ رَبِّكَ﴾ [يوسف: ٤٢] أخر نجاته سبع سنين، وعاتبه الله تعالى بأنه كيف استعنت بغيري ولم تستعن بي، ولم تسألني أن أخرجك من السجن واستعنت وأمّلت عبداً من عبادي، ليذكرك إلى مخلوق من خلقي في قبضتي، ولم تفزع إليّ؟! اِلْبَث في السجن بذنبك بضع سنين بإرسالك عبداً إلى عبد، ولم ينجُ بعد ذلك إلاّ بالتوكل حيث أتاه جبرائيل عليه السلام وسأله عن حبّ النجاة، فأوكل ذلك إلى مشيئة الله تعالى، فعلّمه جبرائيل عليه السلام دعاء التوسّل، فدعا به فنجى.

وكذلك يعقوب عليه السلام عاتبه الله تعالى في شكايته مصائبه إلى عزيز مصر، وعدم استغاثته بالله تعالى، ولم ينج إلاّ بعد الاستغفار والإنابة.

فلا ترفع بنيّ حاجتك إلى غير الله سبحانه وتعالى، ولا تشكو مصائبك إلاّ إليه، فإنه الجواد الكريم، وقد أعطى الله تعالى إبراهيم عليه السلام منصب الخلّة لأنه لم يسأل أحداً شيئاً قط.

وقد روي عن رسول الله ﷺ أنّه قال: «رأيت الخير كُلّه قد اجتمع في قطع الطمع عمّا في أيدي الناس».

وعن الصادق عليه السلام أنّه قال: «إذا أراد أحدكم أنْ لا يسأل ربّه شيئاً إلاّ أعطاه، فلييأس من الناس كلّهم، ولا يكون له رجاء إلاّ من عند الله، فإذا علم الله ذلك من قلبه لم يسأله شيئاً إلاّ أعطاه».

وعليك بملاحظة الدعاء الثالث عشر من أدعية الصحيفة [السجاديّة] في طلب الحوائج إلى الله عزّ وجلّ والتفكّر فيه وقراءته، حتى يتبيّن لك صحّة ما ذكرته لك من مرجوحيّة تسبيب الأسباب.

ومنها:

القناعة

فعليك بنيّ بها، فإن فيها عزّ الدارين، وراحة البدن، وذلك أنك إنْ تركتها فربّما التجأت إلى ما ينقصك عند العباد في الدّنيا وما يوقعك في العذاب في الاخرة، وإلى التعب والعناء.

ولا أريد القناعة الاقتار والضيق على العيال حتّى مع اليسار، فإنّ ذلك خلاف التوسعة المندوبة، بل قد يكون تركاً لأداء ميزان نفقتهم الواجبة، بل المراد الرضا بالميسور، والصرف بقدر المدخل، فإنْ كنت ذا يسار فوسِّع على عيالك في النفقة والكسوة إلى حدّ لا يؤدّي إلى الإسراف والتبذير المحرَّمين، وخذْ بالاقتصاد المطلوب في جميع الأمور، حتى لا تُعَدُّ من أهل الدناءة والخسة، ولا من أهل السرف والتبذير، وإنْ كنت من أهل الإعسار فاقنع بالميسور، وارضَ بالمقدّر، ولا تكشف لأحد سِرَّك، ولا تظهر فقرك، فإنّ الناس عبيد الدنيا، فإذا اطلعوا على فقرك استصغروك وأهانوك واستذلّوك، ولقد أجاد من قال:

خيار الناس من لزم القَنَاعَهْ

ولم يكشف لمخلوق قِنَاعَهْ

أفادتنا القناعة كل عزّ

ولا عزّ أعزّ من القناعهْ

ولقد جرّبْتُ بنيّ - صان الله تعالى ماء وجهك - فوجدت أنّ الكشف للمخلوق يزيد في الإعسار، ويورث الذلّ والصغار، ويُغضب الملك الجبّار. **فإيّاك** وأن تكشف لمخلوق سرّك وعسرك استعطاءاً منه واستعطافاً، فإنّ الرزق مقدَّر مقسوم، قَسَّمَه حكيم على حسب حكمته واستصلاحه، ولا يزيد ببذل ماء الوجه، ولا ينقص بالعفة والتعزز، بل قد يكون الكشف للمخلوق شكاية من قاسم الأرزاق فيؤدي إلى غضبه في الدنيا بزيادة الإعسار، وفي الاخرة بعذاب النّار.

ويرشدك إلى ذلك الأخبار؛ وكفاك منها قوله جلّ شأنه في الحديث القدسي: «وعزّتي وجلالي لأقطعنَّ أمل كلّ مؤمّل يؤمّل غيري باليأس، ولأكسونَّه ثوب المذلّة في الناس، ولأُبْعِدَنَّه من فَرَجي وفضلي».

ومنها:

الحياء

فإنّه من الصفات الحميدة والأخلاق ذالمحمودة في الدّنيا والاخرة، حتّى ورد عنهم عليهم السلام: «إنّ الحياء من الإيمان والإيمان في الجنّة». وأن «الحياء والإيمان مقرونان، فإذا ذهب أحدهما تبعه صاحبه». وأنه «لا

إيمان لمن لا حياء له». وأنّ: «أربعاً مَنْ كنَّ فيه وكان من قرنه إلى قدمه ذنوباً بدَّلها الله تعالى حسنات: الصدق، والحياء، وحسن الخلق، والشكر».

وفي خبر اخر: «أداء الأمانة» بدل: «الشكر».

ومنها:

حسن الخلق

فعليك بنيّ - أحسن الله تعالى إليك - به، فإنّ فيه فوائد عظيمة في الدارين. وكفى في فضله مدح الله جلّ شأنه لأشرف المرسلين ﷺ به.

وقد ورد أنّه «نصف الدّين»، و«أفضل ما أعطي المرء»، وأنّه «ما يوضع [في ميزان امرىء] يوم القيامة أفضل منه»، وأنّ «لصاحبه أجر الصائم القائم»، و«أجر المجاهد في سبيل الله»، وأنّه «يميث الخطيئة كما تميث الشمس الجليد»، وأنه «يذيب الذنوب كما يذيب الماء الملح»، وأن «أكثر ما تلج به هذه الأمّة الجنّة تقوى الله، وحسن الخلق»، و«أنّ الله تعالى ليستحي يوم القيامة من أن يطعم لحم حَسَن الخلق النار»، وأنه «يزيد العمر»، حتى ورد الأمر بحسن الخلق في مجالسة اليهودي أيضاً.

وقد **وجدت بنيّ** مِنْ حسن الخلق اثاراً غريبة، ولله درّه عليه أفضل الصلاة والسلام في قوله: «إنكم لن تَسَعُوا الناس بأموالكم، فسعوهم ببسط الوجه، وحسن الخلق».

وعن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «حسّن مع جميع الناس خلقك،

حتّى إذا غبت عنهم حنّوا إليك، وإذا متّ بكوا عليك، وقالوا: (إنّا لله وإنّا إليه راجعون)، ولا تكن من الّذين يقال عند موتهم: (الحمد لله ربّ العالمين)».

وسُئل الصادق عليه السلام عن حدّ حسن الخلق، فقال عليه السلام: «تلين جانبك، وتطيّب كلامك، وتلقى أخاك ببشر حسن».

وعنه عليه السلام أيضاً: «إنّ حسن الخلق مع المؤمنين هو بسط الوجه والبشرة لهم»،ومع المخالف التكلم بالمداراة لاستجذابه إلى الإيمان، مع اليأس من إيمانه فكف شره عن النفس واخوانه المؤمنين».

وقال عليه السلام: «إن مداراة اعداء الله من أفضل صدقة المرء على نفسه وإخوانه».

وإياك بني وسوء الخلق، سيما مع الأهل والعيال، وقد ورد: «أن سوء الخلق في النار لا محالة»، وأنه يفسد الإيمان كما يفسد الخل، وأن سَعْداً شيَّعه سبعون ألف مَلَك ومع ذلك أصابته ضمّة القبر لسوء خلقه في أهله.

ومنها:

الحلم والعفو

فعليك بنيّ بهما، فإنّ أهلهما يدخلون الجنّة بغير حساب، وكفاهما شرفاً أنهما مما وصف الله سبحانه بهما نفسه، وقصص الأنبياء والأوصياء عليهم السلام في الحلم كثيرة ليس هنا محل ذكرها. وقد ورد أنّ الرجل لا يكون عابداً حتى يكون حليماً، وأنّ الله يحب الحليم، وأنّ

الحلم من صفات المؤمن، وأنّ من كظلم غيظاً وهو يقدر على أن ينفذه ملأ الله تعالى قلبه يوم القيامة رضاً وأمناً وإيماناً، ودعاه على رؤوس الخلائق حتّى يخيّره في أيّ حور العين شاء أخذ منهن، وأعطاه أجر شهيد، وأنّه ما من جرعة يتجرّعها العبد أحبّ إلى الله تعالى من جرعة غيظ يتجرّعها عند تردّدها في قلبه، إمّا بصبرٍ وإما بحلم، وأنّه ما من عبد كظم غيظاً إلاّ زاده الله ﷻ عزّاً في الدّنيا والاخرة، وإذا كان يوم القيامة جمع الله تبارك وتعالى الأوّلين والاخرين في صعيد واحد، ثم ينادي منادٍ: أين أهل الفضل؟ قال: فيقوم عنق من الناس فتلقّتهم الملائكة فيقولون: وما كان فضلكم؟ فيقولون: كنّا نصل مَنْ قطعنا، ونعطي مَنْ حرمنا، ونعفو عمّن ظلمنا. فيقال لهم: صدقتم.. أدخلوا الجنّة بغير حساب، وأنّ العفو زكاة الظفر، وأنّ أولى الناس بالعفو أقدرهم على العقوبة، وأنّ العفو لا يزيد العبد إلاّ عزاً، فاعفوا يعزّكم الله.

فعليك بنيّ بالعفو عمّن ظلمك حتّى يعفو عنك من ظلمته بمخالفته تعالى شأنه، وتنال الرتب العالية المذكورة.

وإيّاك بنيّ ثمّ إيّاك والغضب؛ فإنّه يكشف عن ضعف عقيدة المغضب، وقد ورد أنّ الغضب يفسد الإيمان كما يفسد الخلّ أو الصبر العسل، وأنه أحد أركان الكفر، فإنّ أركانه أربعة: الرغبة، والرهبة، والسخط، والغضب، وأنّ «الغضب مفتاح كلّ شرّ»، و«محق لقلب الحكيم»، و«مَنْ لم يملك غضبه لم يملك عقله»، وإنّ إبليس قال: الغضب رهقي ومصيادي، وبه أصدّ خيار الخلق عن الجنّة وطريقها.

مسكنات الغضب

وقد ذكروا للغضب مسكِّنات:

فمنها: الاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم.

ومنها: ذكر الله سبحانه؛ فقد ورد أنّه مكتوب في التوراة: «يا بن ادم! اذكرني حين تغضب أذكرك عند غضبي، فلا أمحقك فيمن أمحق، وإذا ظُلمتَ بمظلمة فارضَ بانتصاري لك، فإنّ انتصاري لك خير من انتصارك لنفسك».

ومنها: إن كان قائماً فليجلس، وإن كان قاعداً فليضطجع أو ليقم.

ومنها: تغيير المكان؛ فإنّ الشيطان قال لموسى عليه السلام في تضاعيف نصايحه: إذا استولى عليك الغضب فغيّر مكانك، وإلاّ ألقيتك في الفتنة.

ومنها: أن يتوضّأ ويغسل بالماء البارد.

ومنها: أن يمسّ المغضوب عليه جسد المغضب إنْ كان بينهما رحميّة، فإنّ الرحم إذا مسّت سكنت.

ومنها: شرب الماء.

ومنها: أكل الزبيب؛ فإنّه يطفىء الغضب.

ومنها: أن يقول «اللّهم أذهب عنّي غيظ قلبي، [واغفر لي ذنبي] وأجرني من مضلاّت الفتن، [أسألك برضاك، وأعوذ بك من سخطك] أسألك جنّتك [وأعوذ بك من نارك، أسألك الخير كلّه] وأعوذ بك من

الشرّ كله. اللّهم ثبّتني على الهدى والصواب، واجعلني راضياً مرضيّاً غير ضالّ ولا مضلّ».

وقد ورد أنّ: من كف غضبه عن الناس أقاله الله نفسه يوم القيامة، وستر الله عورته، وأنّ له الجنة.

ومنها:

الإنصاف والمروّة

فعليك بهما.. وإيّاك وتركهما، فإنّهما من المنجيات، وأنّ تركها من المهلكات.

وورد أنّ: مَنْ لا مروّة له لا دين له، وأنّ أشد ما فرض الله على خلقه إنصاف الناس من النفس. والإنصاف أن ترضى للناس، وتحب لهم ما تحب وترضى لنفسك، وتكره لهم ما تكره لنفسك.

ومنها:

الوفاء بالوعد

فعليك بنيّ وفي الله تعالى بعهد فيك - إذا وعدت بشيء أن تفي به، لورود الأوامر الأكيدة في الكتاب والسنّة به.

ففي الكتاب المجيد: ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا﴾ [الإسراء: ٣٤]. وعن رسول الله ﷺ «إنّ مَنْ كان يؤمن بالله واليوم الاخر فليفِ إذا وعد». وعن الصادق عليه السلام: «إنَّ عِدة المؤمن أخاه نذر لا كفارة له، فمن أخلف فبخلف الله أبدأ، ولمقته تعرّض».

وكفاه عظماً أنّ الله تعالى مدح نبيّه إسماعيل عليه السلام بصدق الوعد. ولولا في ذمّ تركه إلاّ قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝٣﴾ [الصف: ٢-٣].

وقد ورد أنّ إسماعيل عليه السلام وَعَدَ رجلاً أن ينتظره في مكان ونسي الرجل، فانتظره سنة في ذلك المكان حتى أتاه الرجل.

وزاد في خبر آخر: «أنّ الشمس اشتدّت عليه فلم ينتقل إلى الظلّ خوفاً من الخلف».

وفي خبر ثالث: «إنّ قُوْته في المكان الموعود كان جلد الشجر ولم يتيسّر له غيره».

فكن بنيّ غفر الله لك - في الوفاء بالوعد كذلك، وإنْ لم تقدر على ذلك فكن ما يقرب منه.

وإيّاك بنيّ وأنْ تعد بمالا تعلم بقدرتك على الوفاء به، فإنّ خلف الوعد يشين الرجل، ولقد أجاد مَنْ قال:

حَسَنٌ قبل (نعم) قولك (لا)

وقبيح قول (لا) بعد (نعم

إنّ (لا) بعد (نعم) فاحشة

فَبِ (لا) فابدأ إذا خفت الندم

ومنها:

السخاء

فعليك بنيّ به، فإنه محمود العاقبة في الدنيا والاخرة، وإنّ السخيّ عزيز في الدارين، والبخيل ذليل في الدارين. وكفاك في شرف السخاء أنّ حاتم لسخائه لا تؤثّر فيه نار جهنّم وإن كان فيها.

واعلم بنيّ أنّ البخل سواد الوجه في الدّارين، ولكن لا تنس قوله تعالى: ﴿وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا﴾ [الإسراء: ٢٩] فعليك بالقصد فيه والتوسط، فإنّ خير الأمور أوسطها.

الفصل الثالث

في جملة أخرى من الوصايا المتفرقة

أوصيك بنيّ - وفقك الله تعالى لكلّ خير وجنّبك من كلّ سوء وشرّ - بإخراج حُبّ الدنيا عن قلبك، فإنه سُمّ ناقع، وداء مهلك، وقائدك إلى النّار، ومبعّدك عن نيل ألطاف الملك الجبّار.

وطريق اخراج حبّها عن قلبك؛ أن تتفكّر في أنّها لو كانت جيدة حسنة لاختارها أكمل العقلاء - وهم الأنبياء صلوات الله عليهم والأئمّة عليهم السلام - ولَمَا فرّوا منها فرارنا من الأسد، ولَما أكّدوا التوصية بالفرار منها.

وقد ذم الله حبّ الدنيا في ايات عديدة، وفسرت في الأخبار بما يوضحها مثل قوله جلّ شأنه: ﴿زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾ [البقرة: ٢١٢] حسنتْ في أعينهم، وأشربتْ محبّتها في قلوبهم حتّى تهالكوا عليها ﴿وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ [البقرة: ٢١٢] من فقراء المؤمنين الّذين لا حَظَّ لهم منها ﴿وَالَّذِينَ اتَّقَوْا﴾ من المؤمنين ﴿فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَاللَّهُ﴾ [البقرة: ٢١٢] لأنّهم في علّيّين في الكرامة، وهم في سِجّين، وفي الندامة.

وتواترت الأخبار بذمّها، والتحذير من حبّها، حتى ورد أنّ حبّ الدنيا ينسي الاخرة، وأنّ في طلبها إضراراً بالاخرة، وفي طلب الاخرة إضراراً بها، فانظر إلى أحقرهما، وهوّن عليك الإضرار به، وأنّهما ضرّتان لا تجتمعان، أو هما كالمشرق والمغرب، فبقدر ما تقرب من إحداهما تبعد من الأخرى، وهما كالماء والنار لا تجتمعان.

بل التأمّل الصادق يرشدك إلى أنّ حبّ الدنيا بمنزلة الشرك، لأنّ حبّها يكشف عن عدم اليقين بالاخرة، وعدم الاطمئنان بما ورد في الكتاب والسنّة، وإلاّ لم يكن يعقل حبّها بعد ما ورد من مضادّتها للاخرة.

فعليك بنيّ بالزهد بترك حرامها خوفاً من العقاب، وشُبُهَاتها حذراً من العتاب، بل حلالها مهما أمكن فراراً من الحساب، وترك مشتهيات النفس إلاّ ما كان له رجحان شرعاً كالنكاح.

واجعل نفسك قانعة بكلّ ما يتيسّر من المأكول، وكلّ ما يتسهّل من الملبوس.

واجعل همّك في اخرتك، فإنّك إنْ زهدت في الدنيا وفرغت نفسك من قيودها نلت راحة الدنيا، ولذّة الاخرة.

وليس الزهد فيها هو الالتزام بعدم الأكل والشرب واللبس، بل الرضا بالمقسوم منها، والاقتصاد وعدم الإسراف عند السعة. وقد ورد عن مولانا الصادق عليه السلام أنه: «ليس الزهد في الدنيا بإضاعة المال، ولا تحريم الحلال، بل الزهد في الدنيا أن لا تكون بما في يدك أوثق منك بما عند الله عزّوجلّ».

وعن أمير المؤمنين عليه السلام: «إنّ الزهد في الدنيا قصر الأمل، وشكر كلّ نعمة، والورع عن كلّ ما حرّم الله عزّوجلّ».

وعليك بنيّ بالتوسّل بالنبيّ وآله صلى الله عليه وآله، فإنّي قد استقصيت الأخبار فوجدت أنه ما تاب الله على نبيّ من أنبيائه - ممّا صدر منه من الزلّة - إلاّ بالتوسّل بهم.

وقد ورد أنّ: «الله تعالى لمّا خلق ادم عليه السلام نقل أشباح محمّد واله المعصومين صلوات الله عليه وعليهم أجمعين من ذروة العرش إلى ظهره، وكان أمره الملائكة بالسجود لادم عليه السلام إذ كان وعاء تلك الأشباح، فكان سجودهم عبوديّة له تعالى وتعظيماً لمحمّد وأهل بيته صلوات الله عليهم أجمعين وطاعة لادم عليه السلام، وأنه قال الله تعالى لادم عليه السلام لمّا سأله عنهم: «إنّ هؤلاء خيار خليقتي، وكرام بريّتي، بهم اخذ، وبهم أعطي، وبهم أعاقب، وبهم أثيب، فتوسّل بهم [إليّ] - يا آدم - وإذا دهتك داهية فاجعلهم لي شفعاءك، فإنّي اليت على نفسي قسماً حقّاً أنْ لا أخيّب بهم املاً، ولا أردّ بهم سائلاً»، فلذلك حين زلّت منه الخطيئة دعا الله عزّ وجلّ بهم فتاب تعالى عليه وغفر له.

وكذلك من بعده يعقوب، ويوسف، وغيرهما ولم ينجُ منهم ناجٍ إلاّ بالتوسّل بهؤلاء الأطهار صلوات الله عليهم أجمعين.

وعليك بنيّ بإقامة عزاء أبي عبد الله عليه السلام في كلّ يوم وليلة مرة حسب مقدورك، حتّى أنّه إنْ لم يتيسّر لك مؤنتها، ولم تقدر إلاّ على قراءة كتاب التعزية لعيالك في اليوم والليلة مرة فافعل، فإنه عزيز الله تعالى، لوصوله في الإطاعة إلى درجة تفرّد بها، فبذل نفسه وماله وعياله كلّها في سبيله تعالى، وفي التوسّل به خير الدارين، فوز النشأتين.

وعليك بنيّ بزيارته عليه السلام في كلّ يوم من بُعد مرّة، والمضيّ إليه في كل شهر مرة، ولا أقل من زيارته في الوقفات السبع، وإنْ كنت في بلدة بعيدة ففي السنة مرة. فإنّ مَنْ لاحظ الأخبار وواظب على ما ذكرت، ورأى ما رأيته من الاثار، لم يترك ما ذكرته لك، ولقد شاهدت من

زيارته وإقامة عزائه عليه السلام كرامات تبهر العقول، وأقلّ ما وجدته منها أنه لم يتّفق لي أنّي زرته إلاّ ووجدت فرجاً من أمري، وسعة في رزقي، وما عند الله تعالى خير وأبقى.

وعليك بنيّ - وفّقك الله تعالى لما يحبّ ويرضى، ومَنَّ عليك بالعمر الطبيعي - بإكرام الشيوخ والعجائز، فإنّ الله تعالى يدفع بهم البلاء عن عباده. وإيّاك وإسخاطهم، ولقد وجدت من ذلك ما لا يسعني نقله.

وعليك بنيّ بالتناهي في إكرام الوالدين، والبرّ بهما، فإنه من أعظم ما ورد التأكيد به في الكتاب والسنة. وإيّاك والمسامحة في ذلك، وقد روي عن أبي عبد الله عليه السلام [قال]: «إنّ يوسف عليه السلام لمّا قدم عليه الشيخ يعقوب عليه السلام دخله عزّ الملك، فلم ينزل إليه من مركبه، فهبط إليه جبرائيل عليه السلام فقال: «يا يوسف! ابسط راحتك» فبسط، فخرج منها نور ساطع، فصار في جوّ السماء، فقال يوسف عليه السلام: «يا جبرائيل! ما هذا النور الذي خرج من راحتي؟» فقال: «نزعت النبوّة من عقبك، عقوبة لمّا لم تنزل إلى الشيخ يعقوب عليه السلام، فلا يكون في عقبك نبيّ».

الحث على إكرام الفقهاء

وعليك بنيّ بإكرام العاملين من الفقهاء رضوان الله عليهم، فإنّهم أعلام الدين، وأمناء الشرع المبين، وهم نُوَّاب وليّ العصر عجّل الله تعالى فرجه، وجعلنا من كلّ مكروه فداه، وهم هداة الخلق.

وأما مَنْ لم يعمل منهم بما علم، ففرّ منه فرارك من الأسد، فإنّه ليس بعالم بنصّ الإمام عليه السلام، وأنّه أضرّ على هذا الدين من جيش يزيد ابن معاوية عليه اللّعنة والهاوية.

لزوم إكرام الذريّة الطاهرة

وعليك بنيّ بإكرام الذرّية الطاهرة، ذرّية عليّ وفاطمة صلوات الله عليهما، وأنّ مودّتهم من الفرائض اللاّزمة، لأنّها جُعلتْ - بنصّ الكتاب - أجر الرسالة المقدّسة. فأكرمهم حدّ مقدورك تُرضي بذلك الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وآله، وتكسب بذلك خير الدنيا والاخرة.

ولا تقصر إكرامك على خيارهم، لأنّهم ليسوا كالفقهاء يُسلب عنهم المنصب بعدم العمل، وإنّما الثابت لهم النسب الغير المنتفي بالعصيان، لا المنصب المنتفي بمخالفة الرحمان.

نعم إنْ كان ترك إكرام العاصي منهم نهياً فعليّاً له عن المنكر كان مقتضى القاعدة لزوم الترك من تلك الجهة، وإنْ كان ما نقل من قضية أحمد ابن إسحاق الأشعري مع الحسين بن الحسن الفاطمي يأبى عن ذلك أيضاً، فالأوْلى الإكرام صورة والنهي في الخلوة.

ولا ألزمك بإكرام غير الفاطمي من الهاشميين - كالعقيلية والعباسية - لأنهم - وإنْ كانوا شرفاء نسباً - إلاّ أن إكرامهم ومودّتهم لم تجعل أجر الرسالة..

وكذلك لا ألزمك بإكرام داخل النسب؛ بل ينبغي الاجتناب من إكرامه عند تبيّن فساد نسبته، والتوقف عند الشبهة.

نعم ألزمك بإكرام المنتسب شرعاً بالأُمّ كالمنتسب بالأب، لأن ابن البنت ابن حقيقة في جميع الاثار الشرعية. ولذا كان الحسنان عليهما السلام ابني رسول الله صلى الله عليه وآله حقيقة، خلافاً لعمر، فكما أنهما ابناه صلى الله عليه وآله فكذا المنتسب اليوم بأمّه إليه صلى الله عليه وآله ابنه حقيقة وإنْ كان لا يحلّ له الخمس، لخصوص مرسل حماد بن عيسى عن العبد الصالح عليه السلام.

ومنها:

صلة الرحم

وعليك بنيّ بصلة الرحم، فإنّها تطيل العمر، وتوسّع الرزق، وتُرضي الرّب، وتنفع في الدنيا والاخرة. فَصِلْ حتّى القاطع منهم، ممتثلاً لقول أمير المؤمنين عليه السلام: «صِلُوا أرحام مَن قطعكم، وعُودوا بالفضل على مَنْ حرمكم..».

بل صلة القاطع - بنيّ - أقرب إلى القربة، وأبعد عن متابعة النفس الأَمّارة.

إيّاك وقطع الرحم

وإيّاك ثم إيّاك وقطع الرحم، فإنّ الرحم كيس معلّق على العرش يقول: «اللّهم صِلْ مَنْ وَصَلَني، واقطعْ مَنْ قطعني».

ولقد وجدتُ مِنْ صلة الرحم - سيّما القاطع منهم - اثاراً غريبة، وفوائد عظيمة عجيبة، فعليك بها.. وعليك بها، وإيّاك والمسامحة فيها.

وعليك بنيّ بمراعاة حال المضطرّين من الشيعة - سيّما الأرحام والجيران - تنال بذلك عزّ الدنيا والاخرة وفخرهما، وتحفظ نفسك بذلك من صدماتهما، وتُرْضي بذلك الربّ العطوف.

وقد روى مولانا الصادق عليه السلام: «أنّ يعقوب عليه السلام، إنّما ابتلي بيوسف عليه السلام، إذ ذبح كبشاً سميناً ورَجلٌ مِن أصحابه - وفي رواية أخرى: مِنْ جيرانه - محتاج لم يجد ما يفطر عليه، فأغفله ولم يطعمه فابْتُلي بيوسف عليه السلام.

ينبغي الاقتصاد في جميع الأمور

وعليك بنيّ - وفّقك الله تعالى - بالاقتصاد في جميع أمورك، فإنه أمر ممدوح العاقبة، محمود النتيجة، ألا ترى أنّ الصدقة المحبوبة عقلاً ونقلاً قد أمر الله تعالى نبيّه صلى الله عليه وآله فيها بالاقتصاد بقوله جَلَّ ذِكْره: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا﴾ [الإسراء: ٢٩].

وقال جل ذكره: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلْعَفْوَ﴾ [البقرة: ٢١٩] أي الوسط، كما عن مولانا الصادق عليه السلام.

وعليك - دائماً - بالنظر إلى مَنْ دونك، والشكر على ما أنت عليه، وياك والنظر إلىٰ من فوقك، فإنه يؤذيك، ويفوّت عليك راحة الدنيا وأجر الاخرة جميعاً. وقد قال عزَّ مِنْ قائل: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ [طه: ١٣١].

وعليك بنيّ بترك كثرة مخالطة الناس مهما أمكن، فإنّ مخالطتهم تشغلك عن الحقّ، وتذهلك عن الموت، وتمنعك عن التفرّغ للعبادة، والتفقّه في الدين، والذكر والفكر، وتوجب مدّك النظر إلى ما في أيدي الناس فتطمع فيها، ويلجئك ويبتليك إلى استماع الغيبة والبهتان، وتؤدّي بك إلى دخول المجالس المذمومة، وصحبة البطّالين، وربّما ينجرّ إلى الفتنة والخصومة فتندم يوم لا ينفعك الندم، ولا قول: ﴿يَٰوَيۡلَتَىٰ لَيۡتَنِي لَمۡ أَتَّخِذۡ فُلَانًا خَلِيلًا﴾ [الفرقان: ٢٨].

ولا قول: ﴿بَيۡنِي وَبَيۡنَكَ بُعۡدَ ٱلۡمَشۡرِقَيۡنِ فَبِئۡسَ ٱلۡقَرِينُ﴾ [الزخرف: ٣٨].

ولا قول: ﴿رَبِّ ٱرۡجِعُونِ ۝٩٩ لَعَلِّيٓ أَعۡمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكۡتُۚ﴾ [المؤمنون: ٩٩، ١٠٠].

فاستيقظ قبل أن يفوتك وقت التدارك.

وجوب مخالفة الهوى

وعليك بنيّ بمخالفة الهوى والنفس الأمّارة بالسوء، فإنّ متابعتهما سمّ ناقع، ومرض مهلك. وقد قال أمير المؤمنين عليه السلام: «إنّ أخوف ما أخاف عليكم اثنان: اتّباع الهوى، وطول الأمل، أمّا اتّباع الهوى؛ فإنه يصدّ عن الحق، وأمّا طول الأمل؛ فإنّه ينسي الاخرة».

وفي خبر آخر: «احذروا أهواءكم كما تحذرون أعداءكم، فليس شيء أعدى للرجال من اتّباع أهوائهم، وحصائد ألسنتهم».

وإذا أصبحت - بنيّ - فلا تحدّث نفسك بالسماء، وإذا أمسيت فلا

تحدّث نفسك بالصباح، فإنّ الأمل يورث الغفلة، وافرض دائماً نفسك كأنّك ميّت بين يدي الغسّال.

الوصيّة

واكتب بنيّ وصاياك من أوّل عام بلوغك، وراجعها عند احتمال موجب التغيير في بعضها، وغيّر ما احتاج إليه التغيير. واكتب دائماً ديونك وطَلِبَاتك.

وقد اتّفق لي بنيّ مراراً في الشتاء في غاية البرد أنّي اويت إلى الفراش للنوم، فذكرتُ أني استقرضت في أوّل الليل من شخص درهماً أو درهمين، وأعطيته لمن استعطى ونسيت أن أكتبه، وخفت مفاجأة الموت قبل الانتباه، فقمت في ذلك البرد وشعلت السراج، وكتبت ذلك، وعدت إلى الفراش.

فهكذا كن **يا بنيّ**.. لأنّك إذا لم تكتب ديونك فأدركك الأجل، فإنْ سكت الدائن بقيتَ مشغول الذمّة، وإنْ طالب الوارث، طلبوا منه البيّنة واليمين الاستظهاري، فإنْ لم تكن عنده بيّنة لم يُعْطَ، وبقيتَ - أيضاً - مشغول الذمّة، وإنْ كانت عنده بيّنة كنتَ قد تسبَّبْتَ لتعبه بإقامتها، والحلف في قبال إحسانه إليك بالإقراض، وهو خلاف الإنصاف.

وعليك بنيّ إذا تداينتَ بدين واقترضت أو أقرضت إلى أجل مسمًّى، امتثال أمر الحكيم على الإطلاق، فكتابته والإشهاد عليه، فإن مَنْ ترك حرفاً من الشرع أحوجه الله إليه، فإن الله لم يشرّع الأحكام لمصلحة

ترجع إليه، لأنه غنيّ على الإطلاق، وإنّما شرّعها لمصالحك. . فلا تفوّت على نفسك المصلحة التي دَلَّكَ عليها الحكيم الخبير.

وعليك بنيّ - أطال الله عمرك، وأرشد أمرك، ووفّقك لخير الدارين، وإكمال الملكتين - بالإلتزام بالاداب الشرعية في جميع حركاتك وأفعالك، من الوضوء، والغسل، والأكل، والشرب، والنوم، والتخلّي، والجماع، والمسكن، واللباس. . ونحوها. فإنّ تشريع تلك الاداب لم يكن عبثاً، بل لها فوائد ونتائج في الدنيا والاخرة، فلا تفوّتها على نفسك بالتثاقل. وحيث إنّ الاداب متفرّقة، أصنّف لك - بحول الله وقوته - فيها رسالة جامعة، فعليك بالعمل بها، وتطبيق عباداتك وعاديّاتك عليها إن شاء الله تعالى.

المداومة على ذِكْر الله سبحانه

وعليك بنيّ بالإكثار من ذِكْر الله تعالى، فإنّ ذكره جلّ شأنه يُحيي القلب، ويُقرّب من الربّ، ويُكثر البركة، ويُنجي من الهلكة، ويُبعد الشيطان، ويُدني ملائكة الرحمن، ويُنزل الرحمة والسكينة. وقد قال: «إنّ شيعتنا الذين إذا خلوا ذكروا الله كثيراً».

وأنّ مَنْ أكثر ذكر الله أحَبَّه. و«مَنْ ذكر الله كثيراً كتب الله له براءتين: براءة من النار، وبراءة من النفاق، وأظلَّه الله في جنَّته».

وأنّ أهل الجنة لا يندمون على شيءٍ من أمور الدنيا، إلاّ على ساعة مرّت بهم في الدنيا لم يذكروا الله فيها.

وإيّاك بنيّ أن تخلي مجلساً عن ذكر الله تعالى، فقد قال عليه السلام: «ما اجتمع في مجلس قومٌ ولم يذكروا الله تعالى ولم يذكرونا، إلا كان ذلك المجلس حسرة ووبالاً عليهم».

وليس الغرض بالذِكْر لقلقة اللسان فقط من دون توجه القلب، بل الذكر اللساني مقدمة للذكر القلبي، فالأول بمنزلة الجسد، والثاني بمنزلة الروح، فالذكر القلبي وحده نافع دون اللساني، وقد اتخذ الله تعالى إبراهيم عليه السلام خليلاً، لعدم غفلة قلبه عنه تعالى أبداً.

وورد أنّ الذكر الذي لا يسمعه الحفظة يزيد على الذكر الذي يسمعونه سبعين ضعفاً.

عليك بالاستغفار

وعليك بنيّ بكثرة الاستغفار بالأسحار، والمداومة في كلّ صبيحة بمائة مرة: «ما شاء الله لا حول ولا قوّة إلاّ بالله استغفر الله»، وبعشرة مرات: «سبحان الله والحمد لله ولا إله إلاّ الله والله أكبر».

آداب وإذكار أُخر

وإذا أردت أن تخرج من الدار، فأرسل حنكك وقُل عند الخروج: «بسم الله وبالله امنتُ بالله، ما شاء الله لا حول ولا قوّة إلا بالله، وتوكّلت على الله».

وإذا رأيتَ بنيّ شيئاً فلا تسأل عنه، فإنّ لقمان لمّا رأى داود عليه السلام

ينسج الدرع أراد أنْ يسأله، ثم منعته حكمته عن السؤال، فلمّا تمّمه داود عليه السلام لبسه وقال: «نِعْمَ الدرع للحرب». فقال لقمان: الصمت حكم وقليل فاعله.

وعليك بنيّ بالخلوة بالمستحبّات، فإنّها أبعد من الرياء.

واختر بنيّ عند الناس من الأذكار «لا إله إلاّ الله» لأنّها - مضافاً إلى ما ورد من أنّه أفضل الأذكار - يمكن التستّر به، لخلوّه عن الحروف الشفوية، ولذا عبّروا عنه بـ: الذكر الخفيّ، فيكون فضله بسبعين ضعفاً من الذكر الظاهر.

والأذكار كثيرة، ولكلّ منها فائدة مذكورة في المفصّلات، فراجعها.

وعليك بنيّ بإكثار «لا إله إلاّ الله، لا حول ولا قوّة إلاّ بالله العلي العظيم، وصلّى الله على محمّد واله الطاهرين»، فإنّ في ذلك تأثيراً عظيماً في طرد الشياطين وهلاكهم.

وعليك بنيّ بقراءة كل دعاء ولو في العمر مرّة، والإتيان بكلّ عمل وارد ولو مرّة، لأنّ لكلّ عمل أجراً خاصّاً، فينبغي أن تكون اتياً بها جميعاً حتى تنال بفضل الله سبحانه جميع أنواع مثوبات الله سبحانه، ولا تحرم من شيء منها. ولقد أجاد من شبّه العبادات والأدعية بالأثمار، فقال: كما أنّك إذا دخلت بستاناً فيه أنواع الثمار تحبّ أن تذوق من كلّ منها، فكذا العبادات يترجح أن تفعل كلاً منها ولو مرّة.

وعليك بنيّ بقراءة القران المجيد كلّ يوم مقداراً - سيّما في الأسحار - مع التفكّر في معانيه، والتأدّب بما فيه، ومراجعة ما ورد عن الأئمّة عليهم السلام في تفسيره ما أشكل عليك فهمه منه.

وعليك بُنَيّ بالكَوْنِ على الطهارة مهما أمكن، فإنّها سلاح المؤمن لدفع الشيطان، وتمنع عذاب القبر، وتقضي الحاجة، وتزيد في العمر والرزق وتورث مزيد الجاه، وعلوّ المكان والرفعة، وصحّة البدن والفرح والنشاط، وتزيد في الحفظ والذهن.

وورد أنّ الوضوء نصف الإيمان، وأنّ المؤمن معقّب ما دام على وضوء، ومن مات على طهارة مات شهيداً، ومن بات على طهور كان كأنّما أحيى الليل، ومن تطهّر واوى إلى فراشه بات وفراشه كمسجده.

وروي أنّ روح المؤمن في نومه تروح إلى الله تعالى فليلقاها ويبارك عليها، فلا ينبغي أن ينام إلاّ على طهور.

وعليك بنيّ عند وسوسة الشيطان بالاستعاذة بالله منه، والبسملة، ثم قول: «امنت بالله ورسله مخلصاً له الدين» مع عقد القلب به.

وعليك بنيّ بحفظ أول أوقات الفرائض، فإنّه أفضل وأبرأ للذمّة، وأفرغ للبال، وأروح للبدن، وأجمع للفكر. وقد أرسل أنّه: «لا يفلح عمل قبل الصلاة». فأدِّ بُنَيَّ الفريضة في أوّل وقتها، واسترح مِن هَمِّ تكليفها، يتّسع بذلك رزقك إنْ شاء الله تعالى.

الالتزام بالنوافل

وعليك بنيّ بالالتزام بنوافل الليل والنهار جميعاً ولو مخفَّفة، فإنّها مكمِّلة للفرائض، مضافاً إلى ما قَضَتْ به التجربة من مدخليّة نوافل الليل في سعة الرزق، ونوافل الظهرين في التوفيق.

وإيّاك ثم إيّاك أن تتركها زعماً [منك] منافاتها للاشتغال، فإنّها مؤيّدة لا منافية، والعلم مقدّمة للعمل، فلا وجه لترك ذي المقدّمة بالتسويلات النفسانية.

وعليك بنيّ بالإتيان بالفرائض جماعة مهما أمكن بإمامة أو إيتمام. فإنّ فضلها عظيم فلا يفوتك.

وعليك بالالتزام في أدبار الفرائض بتسبيح الزهراء سلام الله عليها، وسجدة الشكر.

وإنْ كنتَ بُنَيّ في شدة من جهة، فضع بقصد سجدة الشكر جبهتك على الأرض، وادعُ بما دعا به يوسف عليه السلام بتعليم جبرائيل إيّاه في الجبّ فنجّاه الله تعالى منه، وهو: «اللّهم إنّي أسألك بأنّ لك الحمد لا إله إلاّ أنت المنّان، بديع السماوات والأرض، ذو الجلال والإكرم، أن تصلّي على محمّد وال محمّد، وأن تجعل لي ممّا أنا فيه فرجاً ومخرجاً، وارزقني مِنْ حيث أحتسب ومِنْ حيث لا أحتسب، أسألك بمنّك العظيم وإحسانك القديم».

ثمّ ضع خدّك الأيمن وادع بالدعاء الذي دعا به يوسف عليه السلام فنجّاه الله من السجن، وهو: «اللّهم إنْ كانت ذنوبي قد أخلقتْ وجهي عندك فلن ترفع لي إليك صوتاً، ولن تستجيب لي دعوة؛ فإنّي أتوجّه إيك بنبيّك؛ نبيّ الرحمة محمّد وعليّ وفاطمة والحسن والحسين والأئمّة عليهم السلام إلاّ ما فرَّجْت عنّي»، ثم ضع خدك الأيسر وادعُ بما دعا به يعقوب عليه السلام بتعليم جبرائيل عليه السلام إيّاه، فردَّ الله عليه بصره وابنيه. وهو: «يا مَنْ لا يعلم أحد كيف هو وحيث هو وقدرته إلاّ هو، يا مَنْ

سدَّ الهواء بالسماء، وكبس الأرض على الماء، واختار لنفسه أحسن الأسماء، ائتني بروح منك وفرج من عندك».

وعليك بنيّ بصوم أول خميس من كل شهر، واخر خميس منه، وأول أربعاء من العَشْر الوسط فإنه يعدل صوم الدهر.

وعليك بنيّ بقراءة ثلاث مرّات سورة التوحيد في كل يوم وليلة، فإنّها تعدل ختم القران، ولذا افتخر سلمان رضوان الله عليه بصوم الدّهر، وإحياء الليل، وختم القران، في كلّ يوم وليلة مرّة، ونازعه عُمَر في ذلك، فاحتجّ عليه عند النبّي ﷺ بصوم ثلاثة أيّام من كلّ شهر، والنوم على طهارة، وقراءة التوحيد في كلّ يوم ثلاث مرات، وقرّره النبّي ﷺ على ذلك وصدّقه فيه.

وإذا كانت بُنَيّ صائماً ندباً فدخلت على مؤمن فسألك الأكل والشرب فأفطر عنده من دون أن تخبره بصيامك، وتَمُنَّ عليه بإفطارك، فإنّك إنْ أفطرت عنده من دون إخباره، كتب الله عزّوجلّ لك بذلك صيام سنة.

مراجعة الأخبار والمواعظ

وعليك بنيّ بمراجعة الأخبار والمواعظ ساعةً في كلّ يوم وليلة، فإنّ لها تأثيراً غريباً في إحياء القلب، وحفظ النفس الأمّارة من الطغيان.

ترك الشبع

وإيّاك بنيّ - حرسك الله تعالى من الشرور - [من] الإفراط في الأكل، فإنّ ذلك يورث الكسل، وقسوة القلب. وقد ورد أنّ أقرب ما يكون العبد إلى الشيطان حين يملأ بطنه، وما من شيءٍ أبغض إلى الله سبحانه من بطن مملوءة، وليس شيء أضرّ على قلوب المؤمنين من كثرة الأكل، فأَبْقِ ثُلُثاً للماء، وثُلُثاً للتنفُّس، وكُلْ بمقدار ثلث بطنك؛ فإنّه أخفّ لك، وأقوى لمزاجك وبدنك، ولا تزعم أن القوة بكثرة الأكل، بل بجودة الهضم، وجودة الهضم مع قلة الطعام لا كثرته، فإنّ مثل المعدة مثل القدر فكلّما كان مكان ما فيه أوسع، كان طبخه أسرع وأحسن.

وإيّاك والأكل عند الشبع وعدم الاشتهاء، فإنّ ذلك يورث التخمة التي هي أُم الأمراض، والبرص والحماقة والبله.

ترك كثرة النوم

وإيّاك وكثرة النوم؛ فإنّها إفناء للعمر العزيز من غير حاصل. وليس غرضي من ذلك وما قبله العمل بالرّياضات، بل أنهاك عنها، لأنّها تعدم المزاج، سيما في الأمكنة التي لا يساعد هواؤها للمزاج، كهذه البلدة الطيبة ونحوها، بل غرضي بذلك الاقتصار على مقدار الحاجة، وترك ما زاد على ذلك.

كثرة الضحك

وإيّاك بُنيّ وكثرة الضحك، فإنّ الأخبار قد استفاضت بأنّها تميت القلب. وورد أنّها تذهب بماء الوجه، وتمجّ الإيمان مجّاً، وأنّ دواء ذلك النظر إلى الظفر، فإنّه يوجب سكونه، وكفّارته قول: «اللّهم لا تمقتني»، نعم الضحك اليسير الذي هو من شؤون حسن الخلق ممدوح، ولقد كن ضحك رسول الله ﷺ التبسّم.

وكالضحك - في المنع - كثرة المزاح؛ لأنّه يذهب بماء الوجه، ونور الإيمان، ويخفّف المروءة، ويورث البغضاء، ولكن قليله ممدوح مندوب، وقد كانوا صلوات الله عليهم أجمعين يفعلونه ويأمرون أصحابهم به، معلّلاً بأنّه يوجب إدخال السرور على الأخ المؤمن.

وإيّاك بنيّ والرضا بقتل مؤمن، فقد روي عن مولانا الرضا عليه السلام: «إنّ من رضي شيئاً كان كمَنْ أتاه، ولو أنّ رجلاً قتل في المشرق فرضي بقتله رجل في المغرب لكان الراضي عند الله شريك القاتل، ولذا أنّ الحجّة المنتظر - عجّل الله تعالى فرجه وجعلنا من كلّ مكروه فداه - إذا ظهر يقتل ذراري قتلة سيد الشهداء عليه السلام لرضاهم بفعل آبائم.

وإيّاك والغِيْبَة والبهتان، فإنهما يخلّيان كتابك من أعمال الخير ويملانه بالشرّ، لذهاب أعمالك الخيريّة بهما إلى كتاب من اغتبته أو بهتّ عليه، وإتيان شروره إلى كتابك، فتبقى صفر الكف.. بل مُحمّلاً أوزار غيرك.

إيّاك والحسد

وإيّاك والحسد؛ فإنّ الحاسد لا يَصِلُ عمله إلى السماء السادسة، بل يضرب به وجه صاحبه، وهو في التعب في الدنيا والاخرة، أمّا في الدنيا: فلحسده وحسرته، وأمّا في الاخرة: فبعذاب الله تعالى له.

وكفاك برهاناً لقبحه أنّ الشيطان حسد آدم فاستحقّ العذاب الأليم. واخوة يوسف عليه السلام حسدوه فأصابتهم الذلّة والخجالة والحاجة إليه.

وورد أنّ «الحسود لا يسود»، وأنّه «يأكل الإيمان والحسنات كما تأكل النّار الحطب».

وإيّاك والاعتراض على الباري جلّ ذكره في أفعاله حتّى مثل كمّ الهواء حاراً أو بارداً؟! ومثل قول: لو أن الله أغناني أو شفاني أو رزقني ابناً بدل البنت أو أبقى لي ولدي أو داري أو ملكي أو فعل بي.. كذا وكذا لكان أصلح أو أحسن.. وأمثال ذلك من العبارات المشعرة بالاعتراض، المعدودة من الشرك الخفيّ.

وإيّاك واختيار سوء لنفسك بقول: اللهم أمتني.. أو خُذْ عمري.. أو نحو ذلك، فإنّ يوسف عليه السلام لمّا شكا في السجن إلى الله تعالى فقال: «يا رب! بماذا استحققت السجن»، فأوحى إليه: «أنت اخترته حيث قلت: ﴿قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِيٓ إِلَيْهِ﴾ [يوسف: ٣٣] وهَلاَّ قلت: العافية أحب إليّ مما يدعونني إليه.

وإيّاك وارتكاب معصية خوفاً من أحد، فإنّ الطاعة بترك مبغوض الله

تعالى تنجيك لا محالة كما نجا يوسف عليه السلام وبلغ ما بلغ بتركه الزنا خوفاً من الله سبحانه.

إيّاك والكذب

وإيّاك والكذب، فإنّ الله يمقت به العبد ويذلّه بين خلقه، ويكون الكاذب ساقط الاعتبار بين الناس ولا يوثق بشيءٍ من أقواله وأفعاله، بل ينبغي ترك التورية أيضاً وإنْ لم تكن كذباً، لأنّا قد جرّبناه مراراً فوجدنا صدق «إنّ النجاة في الصدق». وكم من قضايا صدق فيها الشخص - مع الخوف الشديد العادي -، فنجّاه الصدق بالأثر القهري.

وإيّاك وتلقين الكذب، وقد روي عن النبيّ صلى الله عليه وآله أنّه قال: «لا تُلَقّنوا الكذب فتكذبوا، فإنّ بني يعقوب لم يعلموا أنّ الذئب يأكل الإنسان حتى لَقّنَهم أبوهم».

إيّاك والشماتة

وإيّاك والشماتة؛ فإنّ عمل الشامت يضرب به وجه صاحبه، وما أصاب غيرك يمكن أن يصيبك مثله.

ترك ما يقسي القلب

وإيّاك وارتكاب ما يُقسّي القلب؛ فإنّ قساوة القلب من المذمومات

جداً، ولَعلّي أجمع لك مُقسّيات القلب في خاتمة كتاب الاداب الذي وعدتك بتأليفه لك.

ترك الكبر والغرور

وإيّاك نبيّ! - أعانك الله سبحانه على نفسك - والكبر والغرور، فإني قد جرَّبتُ فوجدتُ أنّ مِن عادة الله جلّ شأنه إذلال المتكبّر وإرغام أنفه، وما اغتررت بشيءٍ إلاّ وخيّب الله تعالى رجائي منه. وكم من مغرور بشيءٍ قد سلّط الله عليه الذل والصغار على وجه ما كان يخطر ببال عاقل أبداً. وقد ورد أنّ الله تعالى ليبغض المتجبّر المتكبّر المختال في مشيه، وأنّ مَنْ مشى في الأرض اختيالا لعنته الأرض ومَنْ تحتها ومَنْ فوقها، وأنّ المختال لَمُعانِد لِجَبّار السماوات والأرض.

بل لا يخفى عليك بنيّ أنّ التكبّر والتجبّر والاختيال من السفه، لأنّ كلّ عاقل إذا لاحظ أوّله واخره وما هو فيه كان تكبّره سفهاً، ولذا تعجبوا عليهم الصلاة والسلام من تكبّر ابن آدم بأنّ «أوله نطفة، واخره جيفة، وهو بينهما وعاء للغائط، فكيف يتكبّر؟!». وورد «أنّ أصل الغائط لتصغير ابن آدم لئلاّ يتكبّر وهو يحمل غائطه معه».

فلا ينبغي أن يرى نفسه فوق ذلك فضلاً مِن أن يتكبّر على أحد.

فعليك بنيّ - بحفظ نفسك من الكبر والخيلاء، والتحرّز من موجبات ذلك، مثل لبس الثوب الطويل الّذي يجرّ في الأرض عند المشي، فإنّ مَنْ لبسه واختال فيه لم يجد ريح الجنة، ويخسف الله به

قبره من شفير جهنم، ويكون قرين قارون، لأنّه أول من اختال فخسف به وبداره.

ومثله الجلوس مع قيام اخر تعظيماً لك، فإنّه من موجبات الكبر.

وقد ورد: «أنّ مَنْ أراد أن ينظر إلى رجل من أهل النار فلينظر إلى رجل جالس وحوله قوم قيام وهو متكبّر عليهم».

وقد جعلوا عليهم السلام دواء الكبر ليس الثوب المرقع، والنعل المخصوف، وتعفير الوجه، وحمل السلعة من السوق إلى الدار، وركوب الحمار، وحلب المعز، ومجالسة المساكين.

وقد سلب الله أشخاصاً نعماً عظاماً للكبر، وكفاك منها ما مرَّتْ الإشارة إليه من سلب النبوّة من نسل يوسف عليه السلام لعدم نزوله عن تخت الملك كبراً على يعقوب عليه السلام عند رؤيته إيّاه. وأعظم منه سلب الله تعالى من الشيطان نعمة القرب لكبره عن السجود لآدم عليه السلام.

فعليك بنيّ بحفظ نفسك من التكبّر حتّى تخلص من مضارّه المذكورة.

وعليك بالتواضع

وعليك بنيّ بالتواضع حتى تنال به خير الدنيا والاخرة، فقد ورد: أنّ التواضع يزيد صاحبه رفعة، وأنّ فيه الشرف، وبه تعمر الحكمة، وأنّه مزرعة الخشوع والخشية والحياء، وأنّه لا يسلم الشرف التام الحقيقي إلاّ للمتواضع في ذات الله، وأنّ الله تعالى ليباهي الملائكة بالذين

يتواضعون، وأنّ ما من أحد من ولد آدم عليه السلام إلاّ وناصيته بيد ملك، فإنْ تكبّر جذب بناصيته إلى الأرض، ثم قال له: تواضعْ وَضَعَك الله، وإنْ تواضع جذب بناصيته، وقال له: ارفعْ رأسك رفعك الله ولا وضعك بتواضعك لله، وأنّ الله تعالى إنّما اصطفى موسى عليه السلام لكلامه لتواضعه وكونه أذلّ خلقه نفساً، فجعله أرفعهم شأناً في عصره، وأنّ المتواضعين أقرب الناس إلى الله تعالى.

النهي عن الاستحقار

وإيّاك بنيّ وآنْ تستحقر شيئاً من المخلوقات، فإنّه إهانة للصانع. ألا ترى أن نوحاً عليه السلام مَرَّ على كلب أجرب فقال: ما هذا الكلب؟ فنطق الكلب وقال: يا نوح! هكذا خلقني ربي، فإنّ قدرت أنْ تغيّر صورتي بأحسن من هذه الصورة فافعل، فندم نوح عليه السلام على ما قال، وبكى على مقالته أربعين سنة حتى سمَّاه الله تعالى: نوحاً، وقد كان اسمه: عبد الجبار، فقال تعالى: «إلى متى تنوح يا نوح!؟ فقد تُبْتُ عليك».

وكذلك موسى عليه السلام لَمَّا أمره الله تعالى باستصحاب مَنْ يكون موسى عليه السلام خيراً منه لما استصحب الكلب الأجرب، ثم أرسله في أثناء الطريق، فلمّا ذهب للمناجاة أقسم الله تعالى على أنه لو كان اتياً به بزعم أنه خير منه لَمحَاه عن ديوان النبوة.

فلا **تحسب بنيّ** نفسك خيراً حتى من الكلب الأجرب، وقد حكي عن بعض العارفين أنه قال: ما دام العبد يظن أنّ في الخلق مَنْ هو شرّ منه فهو متكبّر.

النهي عن الحرص

وإيّاك بنيّ والحرص، فإنَّ جَدَّنا آدم عليه السلام لم يُنْفَ من الجنّة إلاّ لحِرْصه على أكل الحنطة مع إباحة سائر ما في الجنّة له، وأنّ ترك الحرص من جملة نصائح الشيطان الّتي أمر الله تعالى نوحاً باستماعها، كما أنّ منها أنْ لا تخلو بامرأة أجنبية، قال [لعنة الله]: فإنك إنْ خلوتَ بها مِنْ غير ثالث كنتُ أنا الثالث، فأسوّل لك حتّى أوقعك في الزنا.

النهي عن العُجْب

وإيّاك بنيّ والعجب، فإنّه افة الدّين. ومفني العمل، ومواردك في الهلكات. ألا ترى أنّ صاحب عيسى عليه السلام لمّا قال - كعيسى عليه السلام -: «بسم الله» بصحة اليقين منه، ومشى على الماء خلف عيسى عليه السلام، فدخله العجب بنفسه، فقال: هذا عيسى عليه السلام روح الله يمشي على الماء، وأنا أمشي على الماء، فما فضله علَيَّ؟! رمس في الماء، فاستغاث بعيسى عليه السلام، فتناوله فأخرجه، وسأل عيسى عليه السلام عن السبب، فأخبره، فقال له عيسى عليه السلام: «لقد وضعتَ نفسك في غير الموضع الذي وضعك الله فيه، فمقتك الله على ما قلت، فتُبْ إلى الله تعالى ممّا قلت، فتاب الرجل وعاد إلى مرتبته التي وضعه الله تعالى فيها.

فعليك بنيّ حفظك الله من كلّ شرّ - بحفظ نفسك من العجب، والوضع للنفس في غير الموضع الذي وضعك [الله] فيه.

النهي عن الرياء

وإيّاك بنيّ والرياء، فإنّه شِرْك بالله العظيم، كما نطقت به الأخبار المستفيضة ويساعده الاعتبار.

وقد ورد أنّ مَنْ عمل لغير الله تعالى وكله الله إلى عمله يوم القيامة، وأنّ المرائي يوم القيامة يُدْعى بأربعة أسماء: يا فاجر، يا كافر، يا غادر، يا خاسر، حبط عملك، وبطل أجرك، فلا خلاص لك اليوم، فالتمس أجرك ممّن كنت تعمل له».

مضافاً إلى ما ورد من أنّ مَنْ أراد الله ﷻ بالقليل من عمله أظهره الله له أكثر ممّا أراد به، ومَنْ أراد الناس بالكثير من عمله في تعب مِنْ بدنه، وسهر من ليله، أبى الله إلاّ أن يقلّله في عين مَنْ سمعه. وإلى استقباح العقل التدليس بعبادة الله ظاهراً، وعبادة مخلوق باطناً، وإلى إباء العقل مِنْ أنْ يعبد الإنسان مثله أو أدنى منه من المخلوقين العاجزين عن دفع ضَرّ البعوضة والبرغوث عن أنفسهم، القاصرين عن استرجاع ما استلبه الذباب منهم.

النهي عن القنوط والأمن من مكر الله

وإيّاك بنيّ والقنوط من رحمة الله سبحانه، والأمْن مِنْ مَكْرِه، فإنّهما من الكبائر المسخطة للرب، وفي كلّ منهما استصغار له تعالى.

وقد شاهدنا بعض المذنبين لم يقنع الشيطان منه بارتكاب المعصية،

بل وسوس إليه حتّى قنّطه من رحمة الله سبحانه، وحصل له اليأس من أنْ يتوب الله تعالى عليه، فترك التوبة لذلك.. فجمع بين أصل المعصية وبين معصية أخرى كبيرة، وهو القنوط، وبين ترك التوبة الواجبة الماحية للذنب.

التوبة من الذنوب

فعليك بنيّ إذا سَوّل لك الشيطان وأوقعك في مخالفة الرحمن أنْ تبادر إلى التوبة، وتسارع إلى الإنابة التي هي سبب المغفرة؛ فإنّ التوبة عن جدّ تمحو السيئة. بل عليك بنيّ دائماً بالمواظبة على التوبة، والمداومة عليها، فإنّ العبد لا يخلو من زَلّة وخطيئة، وترك الأولى.

واعلم بنيّ أنّ التوبة ليست عبارة عن الاستغفار فإنّ الاستغفار مع القيام على الذنب استهزاء بالربّ، بل التوبة الكاملة - على ما ورد عن الأئمّة الأطهار صلوات الله عليهم أجمعين - تجمعها ستة أشياء هي:

الندامة على ما مضى، والعزم على عدم العود عليه فيما يُستقبل أبداً، وأداء حقوق المخلوقين إليهم حتى لا تبقى عليك تبعة إلاّ وخرجْتَ منها بالاستحلال، وردّ المظالم، وأن تعمد إلى كلّ فريضة ضيّعتها فتؤدّي حقّها، وأن تعمد إلى اللحم الذي نبت على السحت فتذيبه بالأحزان حتّى يلصق الجلد بالعظم وينشأ بينهما لحم جديد، وأن تذيق الجسد ألم الطاعة كما أذقته حلاوة المعصية.. فعند ذلك تستغفر الله تعالى، فهذه هي التوبة الكاملة، وإلاّ فقد اتفق أهل العدل على

سقوط العقاب عن هذه الأُمَّة ببركة النبي ﷺ، بمجرّد الندم على ما مضى، والعزم على عدم العود فيما يأتي أبداً والاستغفار.

نعم كانت على الأُمم السالفة في غاية الصعوبة، كما لا يخفى على مَنْ لاحظ الأخبار الواردة في قصصهم. ففي الخبر الطويل عن أمير المؤمنين عليه السلام المتكفّل لبيان ما مَنَّ الله تعالى ببركة نبيّه ﷺ على هذه الأُمَّة في تفسير قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا﴾ [البقرة: ٢٨٦]، أنّه تبارك اسمه قال: قد رفعت عن أمّتك الاصار التي كانت على الأمم السالفة.. إلى أن قال جلّ ذكره: وكانت الأمم السالفة إذا أذنبوا كتبت ذنوبهم على أبوابهم، وجعلتُ توبتهم من الذنوب أَنْ حرَّمْتُ عليهم بعد التوبة أحبّ الطعام، وقد رفعتُ ذلك عن أمتك، وجعلت ذنوبهم فيما بيني وبينهم، وجعلت عليهم ستوراً كثيفة، وقبلت توبتهم بلا عقوبة، ولا أعاقبهم بأن أحرّم عليهم أحبّ الطعام إليهم، وكانت الأمم السالفة يتوب أحدهم من الذنب الواحد مائة سنة، أو ثمانين سنة، أو خمسين سنة، ثم لا أقبل توبتهم دون أن أعاقبه في الدنيا بعقوبة، وهي من الاصار التي كانت عليهم فرفعتها عن أمّتك، وأنّ الرجل من أمّتك ليذنب عشرين سنة، أو ثلاثين سنة، أو أربعين سنة، أو مائة سنة، ثمّ يتوب ويندم طرفة عين فاغفر له ذلك كلّه الحديث.

فسهل الله سبحانه أمر التوبة لهذه الأمة إكراماً لنبيّه ﷺ، وجعلنا فداهم. حتّى روي أنّ رجلاً عصى الله تعالى وقتل تسعة وتسعين رجلاً بغير حقّ، فلمّا مضت عليه مدّة ندم على ما فعل، وقال: أريد التوبة،

فأتى إلى رجل عابد وحكى له ما صنع من القتل، وقال: أريد التوبة. فقال له ذلك العابد: لا توبة لك، وما لك على هذا. . فلمّا قال له هذا الكلام عمد ذلك الرجل إلى ذلك العابد فقتله، فبقي مدة، ثم أتى إلى رجل عالم فقال له: اني قتلت مائة رجل فهل بي من توبة؟ قال: اقْصُدْ أَرْضَ كذا فإنَّ فيها نبيّاً أو عالماً، فامضِ إليه وتُبْ على يديه، فمضى إليه فلمّا كان في عرض الطريق أتى أجله، فأتته لقبض روحه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب، فتنازعا في قبض روحه، فقالت ملائكة العذاب: نحن نقبض روحه لأنّه لم يتب بعد، فأوحى الله إليهم أن اذرعوا الأرض وانظروا إلى أي أرض هو أقرب، فلمّا مسحوا الأرض وجدوه إلى أرض التوبة أقرب بذراع أو شبر، فتبادرتْ إليه ملائكة الرحمة فقبضوا روحه.

وفي خبر آخر: إنّ الملائكة لمّا قصدوا إلى مساحة الأرض أمر الله أرض التوبة فطويت بعد ما كانت أبعد من تلك الأرض.

انظر بنيّ إلى لطف الباري جلّ شأنه ورأفته بعبده، كيف يسامح معه في قبول توبته؟ فباب التوبة بنيّ واسعة، ودائرتها متّسعة، وأنّ الرؤوف الرحيم يحبّ التائب. وقد ورد «أنّه تعالى أشدّ فرحاً بتوبة عبده المؤمن من رجل وجد راحلته الضالة منه في ليلة ظلماء».

لزوم المبادرة إلى التوبة

فعليك بنيّ بالتوبة والإصرار عليها، والمبادرة إليها قبل أنْ يخرج الأمر من يدك، وتؤاخذ بسيِّء عملك.

وإيّاك والمساهلة في أمرها، فإنّ في التأخير افات، فقد لا يمهلك ملك الموت لذلك، وما مثل مَنْ يؤخّر التوبة ويتسامح فيها إلاّ مثل مَنْ احتاج إلى قلع شجرة لا تنقلع إلاّ بمشقّة، فقال: اؤخّرها ثم أعود إليها بعد أيام أو شهور أو سنين، وهو يعلم أنّها كلّما بقيت ازدادت رسوخاً وقوّة، وهو كلّما مضى من عمره ضعفت قوّته، وزاد عجزه وكسله، بل ربّما يؤدّي إلى امتناع قلعه لها، وما ذلك إلاّ حمقاً وسفهاً.

واعلم بنيّ أنّ الله تعالى شأنه يؤجّل عبده بعد الذنب إلى سبع ساعات، أو تسع ساعات، أو يوماً.. على اختلاف الأخبار، فإن استغفر وتاب لم يكتب عليه الذنب، فإذا صدر - والعياذ بالله - منك الذنب فبادر إلى التوبة والاستغفار قبل مضي أقلّ تلك الاجال - أعني السبع ساعات - فإنّ المنع من أن يكتب أسهل من طلب محو المكتوب.

واعلم بنيّ أنّ التوبة تطيل العمر، وتوسّع الرزق، وتحسن حال التائب. فعليك بها، وإيّاك ثم إيّاك والكسل عنها.

الصبر على الفقر ومرارته

وعليك بنيّ - رزقك الله الكفاف والعفاف - بحبّ الفقر والصبر على مرارته وسَمّهِ، فقد روي أنّ الله تعالى قال لموسى عليه السلام: إذا رأيت الدنيا مقبلة عليك فقل: «إنّا لله وإنّا إليه ر اجعون عقوبة عُجّلت في الدنيا»، وإذا رأيت الدنيا مدبرة عليك فقل: «مرحباً بشعار الصالحين».

وعن رسول الله ﷺ، تارة: «إنّ الفقر خزينة من خزائن الله تعالى»، وأخرى: «إنه كرامة من الله تعالى»، وثالثة: «إنّه شيء لا يعطيه الله إلاّ نبيّاً مرسلاً أو مؤمناً كريماً على الله تعالى».

وورد أنّ «الفقر زينة المؤمن». وأنّ أكثر أهل الجنة الفقراءُ والمساكين، وليس فيها أحد أقلَّ من الأغنياء والنساء، وأنّ العبد كُلّما ازداد إيماناً ازداد ضيقاً في معيشته. وأنّ سليمان اخر الأنبياء دخولاً إلى الجنّة لِمَا أعطي من الدنيا، وأنّ الصبر على الفافة جهاد، وأنّه أفضل من عبادة ستين سنة، وأنّه يدخل الفقراء الجنّة قبل الأغنياء بنصف يوم - وهو خمسمائة عام -، وأنّ للجنّة غُرَفاً من ياقوتة حمراء ينظر أهل الجنّة إليها كما ينظر أهل الأرض إلى نجوم السماء، لا يدخلها إلاّ نبيّ فقير، أو شهيد فقير، أو مؤمن فقير، وأنّ الفقراء ملوك الجنّة، والناس كلهم مشتاقون إلى الجنّة، وأنّ الجنّة مشتاقة إلى الفقراء، وأنّ الفقراء يدخلون الجنّة بغير حساب، وأنّهم يدخلونها قبل الأغنياء بخمسمائة عام - كلّ عام ألف سنة - وقبلهم بأربعين ألف ألف سنة، وأنه تقبل شفاعتهم فيمن أحسن إليهم وصنع معروفاً ولو بشربة من الماء، وأنّ درهماً يتصدّق به الفقير أفضل من مائة ألف درهم يتصدّق بها الغني.

وأنّ الله تعالى ليعتذر يوم القيامة إلى عبده المؤمن المحتاج في الدنيا، كما يعتذر الأخ إلى أخيه، مع أنّه ما اعتذر إلى ملك مقرب ولا نبيّ مرسل!! قيل: وكيف يعتذر إليهم؟ قال عليه السلام: ينادي منادٍ: أين فقراء المؤمنين؟ فيقوم عنق من الناس، فيتجلّى لهم الرب فيقول: «وعزّتي وجلالي، وعلوّي والائي، وارتفاع مكاني، ما حبست شهواتكم

في دار الدنيا هواناً بكم علَيَّ، ولكن ادّخرته لكم لهذا اليوم - أما ترى قوله: ما حبست شهواتكم في دار الدنيا، اعتذاراً؟! - فتصفّحوا وجوه خلائقي، فمَنْ وجدتم له عليكم مِنَّة بشربة ماء كافوه عنّي بالجنة».

. . إلى غير ذلك ممّا هو مذكور في المفصلات.

واعلم بنيّ أنّه قد ذكر للفقر الممدوح شرائط:

فمنها: التعفّف على وجه يحسبه الجاهل غنيّاً، وإظهار التجمّل والغنى بين الناس، وأن لا يشكو حاجته وفقره لأحد إلا لضرورة اضطرّ إليها، ولو ضاق صدره أظهره عند صديق أو أخ مؤمن مترجّياً منه ترتّب الأثر، وإنْ كان الإخفاء أولى، لأنّه إذا كتمه عن الناس كاهن حقّاً على الله أن يرزقه، وإذا بثّه لغير الله تعالى استهانوه، ولذا قال لقمان لابنه: يا بنيّ! ذقتُ الصبر وأكلتُ [لحا] الشجر - أي قشره - فلم أجد شيئاً هو أمرّ من الفقر، فإنْ بليت به يوماً فلا تظهر للناس فيستهينوك ولا ينفعوك بشيء، ارجع إلى الذي ابتلاك به، فهو أقدر على فرجك، واسأله [فمَنْ ذا الذي سأله فلم يعطه، أو وثق به فلم ينجه؟].

ومنها: القناعة بما قسمه الله تعالى، وقد تقدمت الإشارة الئ فوائدها.

ومنها: الصبر والرضا بما قدّره الله تعالى؛ وقد تقدّمت الإشارة إلى ذلك أيضاً.

وقد ورد عن مولانا الصادق عليه السلام: «أنّه جاء جبرائيل عليه السلام إلى النبي صلى الله عليه وآله فقال: «يا رسول الله! إنّ الله أرسلني إليك بهديه لم يعطها

أحداً قبلك»، قال رسول الله ﷺ: فقلت: «وما هي؟» قال: «الصبر؛ وأحسن منه». قلت: «وما هو؟» قال: «القناعة؛ وأحسن منها». قلت: «وما هو؟» قال: «الرضا..» إلى أن قال: قلت فما تفسير الرضا؟ قال: «الراضي هو الذي لا يسخط على سيّده؛ أصاب من الدنيا أو لم يصب. ولم يرض من نفسه باليسير من العمل».

ولقد أجاد من فسّر الرضا بقوله بالفارسية:

درد اگر قسم تو ايد نوش كن

صافش انكار اين سخن درگوش كن

همآو طفلان بسته گهوراه باش

بی تصرف بنده بيآار باش

بنده باش وهرآه ايد رد مكن

جزر رضا دادن طريق خود مكن

ازر رضا خود نيست بهتر منزلی

كوی اين دولت نيابد هر دلی[1]

واعلم بنيّ أنّ الرضا بالقضاء مرتبة عظيمة ينبغي المجاهدة في تحصيلها، كما أنّ خلافه من أسوء الأخلاق الرديّة، ولذا قال تعالى في

(١) [وحاصل ترجمته: لو قُدّر لك الألم يوماً ما فاستلذ به، وهذا كلام يلزمك أن تضعه نصب عينيك في سلوكك وفي حياتك، كن كالأطفال الرضع في المهد بدون تصرف وهم كالعبيد عاجزون، كن عبداً وكل ما إتاك من شيء فلا ترده، ولا يكون لك طريقاً سوى الرضا بما قدر وكان، إذا أنه ليس هناك مأوى ومنزل خير لك من الرضا، ولا يحصل كل قلب على قصب السبق في هذا البدن].

الحديث القدسي: «من لم يصبر على بلائي، ولم يَرْضَ بقضائي، فليتّخذ ربّاً سواي، وليخرج من أرضي وسمائي».

وورد: «أنّ من رضي رزق الله، لم يحزن على ما فاته. وأنّ مَنْ سخط برزقه، وبثّ شكواه، ولم يصبر، لم ترفع له إلى الله حسنة، ولقي الله تعالى وهو عليه غضبان».

فعليك بنيّ بالسعي في تحصيل الرضا، وطيب النفس بالقسمة والقضاء. وإيّاك والسخط وبثّ الشكوى.

ومنها: أن يكون شاكراً على كلّ حال من حالات الرخاء والشدّة، والضيق والسعة، فقد قرن الله تعالى الصبر بالشكر في القران المجيد ووعد الشاكرين بالمجازاة بالفضل والمنّ، وأوعد على الكفران بالعذاب الشديد.

ومنها: أن يكون شائقاً إلى الفقر، طيب النفس به بسبب ملاحظة فوائده، وأنّ رئيس الأغنياء قارون خسف به، ورئيس الفقراء عيسى عليه السلام رفع إلى السماء.

ومنها: أن لا يَعترض على الله تعالى فيما جرى عليه.

ومنها: أن يكون مجتنباً عن الحرام والمشتبه.

ومنها: أن يكون ممتثلاً لأوامر الله تعالى ونواهيه، ولا يفترّ بسبب الفقر عمّا عليه من الطاعات، ولا يمتنع من التصدّق بالمقدور.

ومنها: أن لا يخالط الأغنياء، ولا يتواضع لهم لغناهم. فقد ورد أنّ مَنْ دخل بيت غنيّ فتواضع له لأجل غناه ذهب ثلث دِيْنه. وفي

رواية: نصف دينه، وفي ثالثة: ثلثا دينه. وأنّه ما تضعضع أحد لغنيّ إلاّ ذهب نصيبه من الجنّة. وأنّ مَنْ أكرم الغنيّ لغناه سمّي في السماوات عدوّ الله وعدوّ الأنبياء، ولا يستجاب له دعوة، ولا تقضى له حاجة.. إلى غير ذلك ممّا يطلب من [المؤلفات] المفصلات.

اجتناب مورثات الفقر

وعليك بنيّ باجتناب مورثات الفقر، وموجبات الغم والحزن، ومورثات النسيان، ومقصّرات العمر. بل عليك بالمواظبة على موجبات سعة العيش، والراحة من غير ضيق، ومنفيات الفقر والفاقة، ومزيدات الرزق، ومطيلات العمر، ومورثات الحفظ. وسأجمعها لك إن شاء الله تعالى في خاتمة كتاب الاداب، الذي وعدتك بتأليفه.

وعليك بنيّ - جعلك الله تعالى من المؤمنين، وحماك من شرّ المنافقين - بأداء حقوق المؤمن مع إخوتك المؤمنين، فإنّ للمؤمن على أخيه حقوقاً لا براءة له منها إلاّ بأدائها أو العفو عنها، وإلاّ طولب بها يوم القيامة وقضى له عليه بها، وسأعددها لك في بعض فصول الكتاب المذكور إن شاء الله تعالى شأنه.

الفصل الرابع

في الوصايا المتعلّقة بطلب العلم
وبيان فضله وما يتعلّق به

أوصيك بنيّ - وفّقك الله تعالى لمراضيه، وجعل مستقبل أمرك خيراً من ماضيه - بطلب العلم، فإنّه مضافاً إلى كونه ممّا يتوقّف عليه أداء الواجبات على ما هي عليها، وترك المحرّمات، وفرضاً من الله سبحانه وتعالى يجب امتثاله فيه، ويحرم مخالفته، قد قامت الضرورة على حسنه وفضله وشرفه وعلوّ درجته، وارتفاع مرتبته، وسموّ مكانه، وجلالة قدره، وقد تطابق العقل والنقل على فضله.

أمّا العقل: فتقريره إجمالاً أنّه عمدة المائز بين الإنسان والحيوان.

وتفصيلاً ما قيل: من أنّ المعقولات تنقسم إلى موجود ومعدوم، ولا ريب في كون الموجود أشرف، ثم الموجود ينقسم إلى جماد ونامٍ، ولا شك في أنّ النامي أشرف، ثمّ النامي ينقسم إلى حسّاس وغيره، ولا شبهة في أنّ الحسّاس أشرف، ثمّ الحسّاس ينقسم إلى عالم وجاهل، ولا ريب في أنّ العالم أشرف من الجاهل.. ينتج أنّ العالم أشرف المعقولات.

وأمّا النقل: فمن الكتاب قوله عزّ من قائل في سورة العلق - التي هي عند أكثر المفسرين أوّل ما نزل على النبي ﷺ: - ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ۝٢ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ۝٣ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ ۝٥﴾ [العلق: ١-٥] فافتتح في مقام الإمتنان كلامه

المجيد بذكر نعمة الإيجاد، وأتبعه بذكر نعمة العلم، فلو كان بعد نعمة الإيجاد نعمة أعلى من العلم لكانت أجدر بالذكر، سيّما وهو جلّ شأنه في مقام بيان إيصاله الإنسان من أدنى المراتب - وهي العَلَقة - إلى أعلى المراتب - وهي مرتبة العلم -:

وقال جلّ ذكره أيضاً: ﴿هَلْ يَسْتَوِي ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [الزمر: ٩].

وقال سبحانه: ﴿وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ﴾ [البقرة: ٢٦٩]. وقد فسّر إيتاء الحكمة بتوفيق العلم والعمل.

وقال عزّ من قائل: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ [فاطر: ٢٨].

وقرن في ايات عديدة بين أهل العلم والراسخين فيه وبين نفسه، والمراد بهم - وإنْ كان أهل البيت (**صلوات الله عليهم أجمعين**) - إلاّ أنّ التعبير عنهم صلوات الله عليه وعليهم به كاف في إثبات فضله وشرفه.

وأمّا الأخبار؛ فمتجاوزة عن حدّ التواتر المعنوي، ولا بأس بالإشارة إلى جملة منها بحذف أسانيدها.

ففي مسند عبد الله بن ميمون القداح، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «مَنْ سَلَكَ طريقاً يطلب فيه علماً سلك الله به طريقاً إلى الجنّة، وأنّ الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضاً به، وأنّه ليستغفر لطالب العلم مَنْ في السماوات ومَنْ في الأرض حتى الحوت في البحر، وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر النجوم ليلة

البدر، وأنّ العلماء ورثة الأنبياء، وأنّ الأنبياء لم يورّثوا ديناراً ولا درهماً ولكن ورّثوا العلم، فمَنْ أخذ منه أخذ بحظّ وافر».

وفي خبر الأصبغ بن نباتة عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال: «تعلّموا العلم؛ فإنّ تعلّمه حسنة، ومدارسته تسبيح، والبحث عنه جهاد. وتعليمه مَنْ لا يعلمه صدقة، وهو عند الله لأَهْلِه قربة، لأنه معالم الحلال والحرام. وسالك بطالبه سبيل الجَنّة، وهو أنيس في الوحشة، وصاحب في الوحدة، وسلاح على الأعداء، وزين الأخلاّء، يرفع الله به أقواماً يجعلهم في الخير أئمّة يقتدى بهم، ترمق أعمالهم، وتقتبس اثارهم، وترغب الملائكة في خلّتهم، يمسحونهم بأجنحتهم في صلاتهم، لأنّ العلم حياة القلوب، ونور الأبصار من العمى، وقوّة الأبدان من الضعف، ينزل الله حامله منازل الأبرار، ويمنحه مجالس الأخيار في الدنيا والاخرة، بالعلم يطاع الله ويعبد، وبالعلم يعرف الله ويوحّد، وبالعلم توصل الأرحام، وبه يعرف الحلال والحرام، والعلم أمام العقل، والعقل تابعه، يلهمه [الله] السعداء، ويحرمه الأشقياء».

وفي خبر الحسن بن أبي الحسن الفارسي، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله: «طلب العلم فريضة على كلّ مسلم، ألا إنّ الله يحبّ بغاة العلم».

وفي خبر أبي إسحاق عمّن حدّثه قال: سمعت أمير المؤمنين عليه السلام يقول: «أيّها الناس! اعلموا أنّ كمال الدّين طلب العلم والعمل به، ألا وإنّ طلبَ العلم أوجبُ عليكم من طلب المال، إنّ المال مقسوم

مضمون لكم، قد قسّمه عادل بينكم وضمنه وسَيَفي لكم، والعلم مخزون عند أهله، وقد أُمِرْتُم بطلبه من أهله فاطلبوه».

وفي خبر أبي البختري، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «إنّ العلماء ورثة الأنبياء، وذلك أنّ الأنبياء لم يورّثوا درهماً ولا ديناراً، وإنّما ورّثوا أحاديث من أحاديثهم، فمَنْ أخذ بشيءٍ منها أخذ حظاً وافراً، فانظروا علمكم هذا عمَّنْ تأخذونه، فإنّ فبينا أهل البيت عليهم السلام في كلّ خلف عُدُولاً ينفون عنه تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين».

وفي خبر أبي حمزة الثمالي، عن عليّ بن الحسين عليه السلام قال: «لو يعلم الناس ما في طلب العلم لطلبوه ولو بسفك المُهَج، وخوض اللُّجَج، إنّ الله تبارك وتعالى أوحى إلى دانيال عليه السلام: إنّ أمقت عبيدي إليّ الجاهل المستخف بحق أهل العلم، التارك الاقتداء بهم. وإنّ أحبّ عبيدي إليّ التّقي، الطالب للثواب الجزيل، اللاَّزم للعلماء، التابع للحلماء، القابل عن الحكماء».

وفي خبره الاخر عن أبي جعفر عليه السلام قال: «عالم ينتفع بعلمه أفضل من سبعين ألف عابد».

وفي خبر معاوية بن عمّار قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: رجل راوية لحديثكم يبثّ [ذلك] في الناس، ويشدّد في قلوبهم وقلوب شيعتكم. ورجل عابد من شيعتكم ليس له هذه الرواية، أيّهما أفضل؟ قال: «الراوية لحديثنا يشدّ به قلوب شيعتنا أفضل من ألف عابد».

وعن رسول الله ﷺ أنّه قال: «لا خير في العيش إلاّ لرجلين: عالم مطاع، ومستمع واعٍ».

وقال الصادق عليه السلام لبشير الدهّان: «لا خير فيمَنْ لا يتفقّه من أصحابنا، يا بشير! إنّ الرجل منكم إذا لم يستغنِ بفقهه احتاج إليهم، فإذا احتاج إليهم أدخلوه في باب ضلالتهم وهو لا يعلم».

وفي مرسل سليمان بن جعفر، عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام، عن أمير المؤمنين عليه السلام - في حديث -: «إنّ العالم أعظم أجراً من الصائم القائم الغازي في سبيل الله»، و«إذا مات العالم ثُلِمَ في الإسلام ثلمة لا يسدّها شيء إلى يوم القيامة».

انظر بنيّ إلى فضل العالم كيف جُعل موته سبباً لثلمة في الإسلام لا يسدها شيء.

وقال عليه السلام أيضاً: «ما مِنْ أحد يموت من المؤمنين أحبّ إلى إبليس من موت فقيه».

وقال أبو الحسن موسى بن جعفر عليه السلام: «إذا مات المؤمن بكَتْ عليه الملائكة وبقاع الأرض التي كان يعبد الله عليها، وأبواب السماء التي كان يصعد فيها بأعماله، وثلم في الإسلام ثلمة لا يسدّها شيء، لأنّ المؤمنين الفقهاء حصون الإسلام كحصن سور المدينة لها».

.. إلى غير ذلك من الأخبار التي تجمعها المفصّلات.

فلا تفوتنّك بنيّ - أرشد الله تعالى أمرك - هذه المرتبة العظمى، والدرجة العليا، والثواب الجسيم، والأجر الجزيل الفخيم، ولا يَغُرَّنَّك

حطام الدّنيا فتترك طلب العلم لأجلها، والتزم بالجوع والفقر والفاقة لأجله، تنال به الغنى الدائم، والعزّ الأبديّ الأخروي..

وكلّما تعسّر عليك أمر معاشك فتذكّر ما يمنحه الله تعالى عليك في الاخرة من الجزاء والأجر الجميل، يهون عليك ما يصيبك من العسر، وقس نفسك بمَنْ ترك طلب العلم واشتغل بكسب المعاش ومع ذلك هو قليل الزرق، عسير المعاش، حتى تلتفت إلى أنّك مع فقرك قد حصّلت على ما ينفعك في الاخرة، وذلك الكاسب صفر الكفّ من المال والعلم جميعاً.

والتزم بنيّ بالقناعة، وأعرض عن الدنيا وزينتها، ولا ترجو الخير من الدنيا التي أهانت حسين السبط عليه السلام واختارت يزيد، بل شيمتها تقديم المقضولين وتأخير الفاضلين، كما قال ابن سينا:

تعس الزمان فإنّ في أحشائه
بغضاً لكل مبجّل ومفضّل
وتراه يعشق كلّ رذل ساقط
عشق النتيجة للأخسّ الأرذل

وقال آخر:

عتَبْتُ على الدنيا بتقديم ذي جهل
وتأخير ذي فضل فأبدتْ لِيَ العُذْرا
بنو الجهل أبنائي لذاك أحبّهم
بنو الفضل أبناء لضرّتي الأُخرى

فلا تتكدّر بنيّ! ممّا يصيبك منها من سوء وفقر لأجل طلب الفضل والعلم.

واعلم بنيّ - صانك الله تعالى من المكاره - أنّ راحة الدنيا في الإعراض عنها، لأنّها دار عناء وتعب لا دار راحة، وأنت إذا حنَّت نفسك إليها جذبتْك، وعن الاخر صرفتْك، وعن التقوى منعتْك، وأباطيلها غرَّتْك، وبخدعها جذبتك، وبأوزارها حمّلتك، وبسهامها رمتك. على أنّك إنْ رغبتَ في الدنيا كنتَ دائماً في كدّ وأذيّة، لأنّ النفس مثلها مثل جهنّم تقول: هل مِنْ مزيد، فأنت في كلّ مرتبة غير راضية بها ولا قانعة، وللمرتبة الأعلى منها طالبة، وبِهَمِّ فَقْدِها مبتلية، ولو تركتها استرحت مِنْ هَمِّ فقدها، وأَنِسْتَ بفرح رفضها، وقرَّتْ عينك عند لقاء ضرَّتها، وهي الآخرة.

ولعمري بنيّ إنّ لترك الدنيا والإعراض عنها لذّة عظيمة لا يجد راغبها المقبلة عليه جزءاً من ألف جزءٍ من نحو تلك اللّذة في إقبالها عليه.

ولا أريد بنيّ من ترك الدنيا التصوّف وإظهار الزهد بين الناس، وترك الأكل واللبس إلاّ بقدر الضرورة، وإنفاق جميع مالك إلى أنْ تجعل يدك مغلولة إلى عنقك، بل المراد بذلك - على ما يظهر من أخبار أهل البيت عليهم السلام - هو عدم عقد القلب بها، وعدم الشوق إلى لذائذها.

وعدم كون الإنسان بما في يده أوثق ممّا عند الله سبحانه، والرضا بقضاء الله تعالى من جميع الجهات، ويرشدك إلى ذلك صحيح عبد الله بن أبي يعفور قال: قال رجل لأبي عبد الله عليه السلام: والله إنّا نطلب الدنيا

ونحب أنْ نؤتاها. فقال عليه السلام: «تحبّ أن تصنع بها ماذا؟!» قال: أعوذ بها على نفسي وعيالي، وأصل بها، وأتصدّق بها، وأحجّ وأعتمر. فقال أبو عبد الله: «ليس هذا طلب الدنيا.. هذا طلب الاخرة».

قصد القربة في طلب العلم

وعليك بنيّ! - رزقك الله تعالى خير الدارين - بتصحيح القصد في طلب العلم. واخلاص النيّة، وتطهير القلب من دنس الأغراض الدنيويّة، وتكميل النفس في قوّتها العمليّة، وتزكيتها باجتناب الرذائل واقتناء الفضائل الخلقيّة، وقهر القوّتين الشهويّة والغضبيّة، كما يرشد إلى ذلك أخبار أهل البيت سلام الله عليهم أجمعين، مثل خبر حفص بن غياث قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: «مَنْ تعلّم العلم وعمل به، وعلّم لله، دعي في ملكوت السماوات عظيماً. فقيل: تعلّم لله، وعمل لله، وعلّم لله».

وخبر عبّاد بن صهيب البصري، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «طلبة العلم ثلاثة، فاعرفهم بأعيانهم وصفاتهم: صنف يطلبه للجهل والمراء، وصنف يطلبه للاستطالة والختل، وصنف يطلبه للفقه والعقل.

فصاحب الجهل والمراء: مؤذٍ، ممارٍ، متعرّض للمقال في أندية الرجال، يتذاكر العلم وصفة الحلم، قد تسربل بالخشوع، وتخلّى من الورع، فدقّ الله مِنْ هذا خيشومه، وقطع منه حيزومه.

وصاحب الاستطالة والختل: ذو خب وملق، يستطيل على مثله من

أشباهه، ويتواضع للأغنياء من دونه، فهو لحلواتهم هاضم، ولدينهم حاطم، فأعمى الله على هذا خبره، وقطع مِنْ اثار العلماء أثره.

وصاحب الفقه والعقل: ذو تعب وكابة، وحزن وسهر، قد تحنّك في برنسه، وقام الليل في حندسه، يعمل ويخشى، وَجِلاً داعياً، مشفقاً مقبلاً على شأنه، عارفاً بأهل زمانه، مستوحشاً مِنْ أوثق إخوانه، فشدّ الله مِنْ هذا أركانه، وأعطاه يوم القيامة أمانة».

وما رواه سليم بن قيس قال: سمعت أمير المؤمنين عليه السلام يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «منهومان لا يشبعان، طالب دنيا، وطالب علم. فمَنْ اقتصر مِن الدنيا على ما أحل الله له سلم، ومَنْ تناولها مِن غير حلّها هلك إلاّ أن يتوب أو يرجع، ومَنْ أخذ العلم مِن أهله وعمل بعلمه نجى، ومَنْ أراد الدنيا به فهي حظه».

وخبر أبي خديجة، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «مَنْ أراد الحديث لمنفعة الدنيا لم يكن له في الاخرة نصيب، ومَنْ أراد به خير الاخرة أعطاه الله خير الدنيا والاخرة».

وخبر حفص بن غياث عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «إذا رأيتم العالم محبّاً لدنياكم فاتّهموه على دينكم، فإنّ كلّ محبّ لشيءٍ يحوط ما أحب».

وقال عليه السلام: «أوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام: «لا تجعل بيني وبينك عالماً مفتوناً بالدنيا فيصدّك عن طريق محبّتي، فإنّ أولئك قطّاع طريق عبادي المريدين، إنَّ أدنى ما أنا صانع بهم أنْ أنزع حلاوة مناجاتي من قلوبهم».

وخبر السكوني، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «الفقهاء أمناء الرسل ما لم يدخلوا في الدنيا». قيل: يا رسول الله! وما دخولهم في الدنيا؟ قال: «اتّباع السلطان؛ فإذا فعلوا ذلك فاحذروهم على دينكم».

وخبر ربعي بن عبد الله، عمّن حدّثه، عن أبي جعفر عليه السلام قال: «مَنْ طلب العلم ليباهي به العلماء، أو يماري به السفهاء، أو يصرف به وجوه الناس إليه؛ فليتبوّأ مقعده من النّار، وإنّ الرئاسة لا تصلح إلاّ لأهلها».

وإيّاك بنيّ والعصيان بعد العلم، فإنّ الحجّة على العالم اكد، وأمره أشدّ، ولذا قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ١٧].

وقال الصادق عليه السلام لابن غياث: «يا حفص! يغفر للجاهل سبعون ذنباً قبل أن يغفر للعالم ذنب واحد».

وعليك بنيّ إذا أردتَ التعلّم أن تختار لذلك معلّماً صالحاً، ديّناً تقيّاً، لأنّ غيره لا يؤمَنُ غشّه وإضلاله، ولذا فسّر مولانا الصادق عليه السلام الطعام في قوله عزّ وجلّ: ﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ﴾ [عبس: ٢٤]، بعلمه الذي يأخذه عمّن.

وعليك بنيّ - وفّقك الله تعالى لكلّ خير، وجنّبك من كلّ سوء وشَيْن - بمراجعة (منية المريد) التي ألّفها الشهيد الثاني (قدّس سره) في آداب المفيد والمستفيد والعمل بها، فإنّ كلّ عمل من غير آدابه غير

ممدوح ولا مستحسن. ومن أهمّ ما هناك إكرام العلماء العاملين، سيّما مَنْ تعلّمت منه شيئاً من العلم، فإنّ مَنْ علّمك أحد آبائك.

وقد روى ثابت بن دينار الثمالي، عن علي بن الحسين عليه السلام أنّه قال: «حقّ سائسك بالعلم التعظيم له، والتوقير لمجلسه، وحسن الاستماع إليه، والإقبال عليه، وأنْ لا ترفع عليه صوتك، ولا تجيب أحداً يسأله عن شيء حتّى يكون هو الذي يجيب، ولا تحدّث في مجلسه أحداً، ولا تغتاب عنده أحداً، وأنّ تدفع عنه إذا ذكر عندك بسوءٍ، وأن تستر عيوبه وتظهر مناقبه، ولا تجالس له عدوّاً، ولا تعادي له وليّاً، فإذا فعلت ذلك شهدتْ لك ملائكة الله بأنّك قصدته وتعلّمت عِلمه لله جلّ اسمه لا للناس.

و [أمّا] حقّ رعيّتك بالعلم؛ أنْ تعلم أنَّ عزّ وجلّ إنّما جعلك قيّماً لهم فيما اتاك من العلم، وفتح لك خزائنه، فإن أحسنت في تعليم الناس ولم تخرق بهم، ولم تضجر عليهم، زادك الله تعالى مِنْ فضله، وإنْ منعت الناس علمك، أو خرقت بهم عند طلبهم منك، كان حقاً على الله عزّ وجلّ أن يسلبك العلم وبهاءه، ويسقط من القلوب محلّك».

وفي خبر سليمان بن جعفر الجعفري، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «كان أمير المؤمنين عليه السلام يقول: «إنّ مِنْ حقّ العالم أن لا تكثر عليه السؤال، ولا تأخذ بثوبه، وإذا دخلت عليه - وعنده قوم - فسلّم عليهم جميعاً، وخصّه بالتحية دونهم، واجلس بين يديه ولا تجلس خلفه، ولا تغمز بعينك، ولا تشر بيدك، ولا تكثر من القول: قال فلان.. وقال

فلان.. خلافاً لقوله، ولا تضجر بطول صحبته، فإنّما مثل العالم مثل النخلة تنتظرها متى يسقط عليك منها شيء..» الحديث.

وعليك بنيّ - جعلك الله تعالى من من العلماء العاملين - العمل بما تعلم، فإنَّ محبوبية العلم إنّما هو لكونه مقدّمة للعمل، ولذا أنّ العالم بلا عمل قد شبه بالشجر بلا ثمر.

وإياك وترك العمل، فإنّ علمك حينئذٍ يكون وبالاً عليك، ولقد أجاد من قال: إنّ جميع العباد مكلّفون بالعمل، إلاّ أن هذا التكليف في حقّ العالم اكد - كما أشرنا إليه آنفاً -، ومن ثمّ جعل الله تعالى ثواب المطيعات من نساء النبي ﷺ، وعقاب العاصيات منهنّ ضِعف ما لغيرهنّ.

وقد ورد في مسند سليم بن قيس الهلالي قال: سمعت أمير المؤمنين عليه السلام يحدّث عن النبي، أنّه قال [في كلام له]: «العلماء رجلان: رجل عالم أخذ بعلمه فهذا ناجٍ، وعالم تارك لعلمه فهذا هالك. وإنّ أهل النار ليتأذّون من ريح العالم التارك لعلمه، وإنّ أشد أهل النار ندامة وحسرة رجل دعا عبداً إلى الله فاستجاب له وقَبِلَ منه فأطاع الله فأدخله الجنّة، وأُدخل الداعي النار بتركه علمه.. واتّباعه [هواه وعصيانه الله، إنما هو اثنان: اتباع] الهوى وطول الأمل، أمّا اتباع الهوى فيصدّ عن الحق، و[أمّا] طول الأمل: ينسي الاخرة».

وفي خبر إسماعيل بن جابر، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «العلم مقرون إلى العمل، فمَنْ علم عمل، ومَنْ عمل علم، والعلم يهتف بالعمل، فإنْ أجابه وإلاّ ارتحل عنه».

وفي خبر عبد الله بن القاسم الجعفري، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «إنّ العالم إذا لم يعمل بعلمه زلّتْ موعظته من القلوب كما يزلّ المطر عن الصفا».

وفي خبر [علي بن] هاشم بن البريد قال: جاء رجل إلى عليّ بن الحسين عليه السلام فسأله عن مسائل فأجاب، ثم عاد ليسأل عن مثلها، فقال عليّ بن الحسين عليه السلام: «مكتوب في الإنجيل: لا تطلبوا علم ما لا تعلمون ولمَّا تعلموا بما علمتم، فإن العلم إذا لم يُعْمَل به لم يزدد صاحبه إلاَّ كفراً، ولم يزدد، من الله إلا بُعْداً».

وفي بعض ما خطب أمير المؤمنين عليه السلام على المنبر - على ما روي - أنّه قال: «أيّها الناس! إذا علمتم فاعملوا بما علمتم لعلّكم تهتدون، إنّ العالم العامل بغيره كالجاهل الحائر الذي لا يستفيق عن جهله، بل قد رأيت أنّ الحجة عليه أعظم، والحسرة أدوم على هذا العالم المنسلخ من علمه منها على هذا الجاهل المتحيّر في جهله، وكلاهما حائر بائر، لا ترتابوا فتشكّوا، ولا تشكّوا فتكفروا، ولا ترخّصوا لأنفسكم فتدهنوا في الحقّ، ولا تدهنوا في الحقّ فتخسروا، وإنّ من الحقّ أن تفقّهوا، ومن الفقه أن لا تغترّوا، وإنَّ أنصحكم لنفسه أطوعكم لربّه، وأغشَّكم لنفسه أعصاكم لربّه، ومن يطع الله يأمن ويستبشر، ومن يعصِ الله يخب ويندم».

وعن عبد الله بن ميمون القداح، عن أبي عبد الله عليه السلام، عن آبائه عليهم السلام قال: «جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وآله، فقال: يا رسول الله! ما العلم؟ قال: «الإنصات». قال: ثمّ مَهْ [يا رسول الله!]؟ قال:

«الاستماع». قال: ثمّ مَهْ؟ قال: «الحفظ». قال: ثمّ مَهْ؟ قال: «العمل به». قال: ثمّ مَهْ يا رسول الله!؟ قال: «نشره».

وفي خبر الحارث بن المغيرة النظري، عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله عزّ وجلّ: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ [فاطر: ٢٨] قال: «يعني بالعلماء مَنْ صدّق قوله فعله، ومَنْ لم يصدّق قوله فعله فليس بعالم».

انظر بنيّ - هداك الله إلى الصواب - كيف نفى اسم العالم عمّن لم يعمل بما علمه وقال به؟. فإيّاك ثمّ إيّاك أن تكون ممّن عِلْمُه وبال عليه.

وعليك بنيّ - وفّقك الله تعالى بمراضيه - بالاتّصاف بالصفات المذكورة للعلماء العاملين، ففي صحيح معاوية بن وهب قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «اطلبوا العلم، وتزيّنوا بالحلم والوقار، وتواضعوا لمن تعلّمونه العلم، وتواضعوا لمن طلبتم منه العلم، ولا تكونوا علماء جبّارين فيذهب باطلكم بحقّكم».

وفي صحيح الحلبي عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: «ألا أخبركم بالفقيه حقّ الفقيه؛ مَنْ لم يقنّط الناس من رحمة الله، ولم يؤمّنهم من عذاب الله، ولم يرخّص لهم في معاصي الله، ولم يترك القران رغبة عنه إلى غيره، ألا لا خير في علم ليس فيه تفهّم، ألا لا خير في قراءة ليس فيها تدبّر، ألا لا خير في عبادة لا فقه فيها، ألا لا خير في نسك لا ورع فيه».

وخبر معاوية بن وهب، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: كان أمير المؤمنين عليه السلام يقول: «يا طالب العلم! إنّ للعالم ثلاث علامات:

العلم، والحلم، والصمت. وللمتكلّف ثلاث علامات: ينازع مَنْ فوقه بالمعصية، ويظلم مَنْ دونه بالغلبة، ويظاهر الظلمة».

وعنه عليه السلام أنّه قال: «لا يكون السفه والغرّة في قلب العالم».

وفي خبر أبي بصير قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «كان أمير المؤمنين عليه السلام يقول: «يا طالب العلم! إنّ العلم ذو فضائل كثيرة، فرأسه التواضع، وعينه البراءة من الحسد، وأذنه الفهم، ولسانه الصدق، وحفظه الفحص، وقلبه حسن النيّة، وعقله معرفة الأشياء والأمور، ويده الرحمة، ورجله زيارة العلماء، وهمّته السلامة، وحكمته الورع، ومستقرّه النجاة، وقائدته العافية، ومركبه الوفاء، وسلاحه لين الكلمة، وسيفه الرضا، وقوسه المداراة، وجيشه محاورة العلماء، وماله الأدب، وذخيرته اجتناب الذنوب، وزاده المعروف، ومأواه الموادعة، ودليله الهدى، ورفيقه محبّة الأخيار».

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «نَعْمَ وزير الإيمان العلم، ونِعْمَ وزير العلم الحلم، ونِعْمَ وزير الحلم الرفق، ونِعْمَ وزير الرفق الصبر».

وإيّاك بنيّ - جنّبك الله تعالى مخالفته - أن يتقول بغير علم، فقد قال الصادق عليه السلام لمفضّل: «أنهاك عن خصلتين فيهما هلاك الرجال، أنهاك أنْ تدين الله بالباطل، وتفتي الناس بما لا تعلم».

وقال الباقر عليه السلام: «مَنْ أفتى الناس بغير علم ولا هدى لعنته ملائكة الرحمة، وملائكة العذاب، ولحقه وزر من عمل بفتياه».

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «.. مَنْ أفتى الناس وهو لا يعلم الناس من المنسوخ، والمحكم من المتشابه فقد هلك وأهلك».

فعليك بنيّ! فيما لا تعلم بقول: لا أدري، ولذا قال أبو عبد الله عليه السلام: «إذا سُئِلَ الرجل منكم عمّا لا يعلم فليقل: لا أدري، ولا يقل: الله أعلم، فيوقع في قلب صاحبه شكاً، وإذا قال المسؤول: لا أدري.. فلا يتّهمه السائل».

وقال عليه السلام: «للعالم إذا سئل عن شيء وهو لا يعلمه أن يقول: الله أعلم، وليس لغير العالم أن يقول ذلك».

وأقول: لا تنافي بين الخبرين؛ فإنّ المراد بالرجل منهم غير العالم، ولعل الفرق بين العالم وغيره - حيث رُخّص للأول قول: الله أعلم، دون الثاني - أنّ في قول: الله أعلم.. إيماء بأنّي أيضاً عالم ببعض الأحكام بالتحصيل، وذلك لا يسوغ من غير العالم، وإنّما يسوغ من العالم.

وقال عليه السلام: «لا يسعكم فيما ينزل بكم ممّا لا تعلمون إلاّ الكفّ عنه والتثبّت، والردّ إلى أئمّة الهدى حتّى يحملوكم فيه على القصد، ويجلوا عنكم فيه العمى، ويعرّفوكم فيه الحق. قال الله تعالى: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٤٣].

وإيّاك بنيّ والعمل بغير علم، فقد قال الصادق عليه السلام: «العامل على غير بصيرة كالسائر على غير الطريق لا يزيده سرعة السير إلاّ بُعداً».

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «مَنْ عمل على غير علم كان ما يفسده أكثر ممّا يصلح».

وعليك بنيّ بحبّ العاملين من أهل العلم وملازمتهم ومجالستهم؛

لأنّ مَنْ أحبّ قوماً حُشِرَ معهم، ومَنْ أحبّ عمل قوم أُشْرِك في عملهم.

وقال الصادق عليه السلام لأبي حمزة الثمالي رحمه الله: «اغد عالماً أو متعلّماً أو أحبّ أهل العلم، ولا تكن رابعاً فتهلك ببغضهم».

وقد سمعت في طيّ أخبار طلب العلم عن السجّاد عليه السلام ما نطق: بأنّ التقي الطالب للثواب الملازم للعلماء مِنْ أحبّ عباد الله إليه.

ويأتي ما ورد في مجالسة العالم.

وعليك بنيّ ببذل العلم لأهله، لما ورد من أنّ: زكاة العلم أن تعلّمه عباد الله، وأنّ الله لم يأخذ على الجهال عهداً بطلب العلم حتّى أخذ على العلماء عهداً ببذل العلم للجهال.

نعم؛ ورد أنّه قال عيسى عليه السلام في خطبته لبني إسرائيل: «لا تحدّثوا الجهال بالحكمة فتظلموها، ولا تمنعوها أهلها فتظلموهم».

وعليك بنيّ - أطال الله بقاك ووفّقك لما يحبّ ويرضى - الاقتصار في صرف العمر في سائر العلوم على مقدار الضرورة، وصرف باقي عمرك في الفقه، لما عرفت من كون المقتضي لمحبوبيّة العلم هو العمل، والمتوقّف عليه العمل ليس إلاّ الفقه، فإنّ به يعرف أوامر الله تعالى فتمتثل، ونواهيه فتجتنب، ولأن معلوم الفقه - وهو أحكام الله تعالى - أشرف المعلومات، مضافاً إلى كونه ناظماً لأمور المعاش على وفق الدين، وبه كمال نوع الإنسان، ولقد أجاد صاحب المعالم حيث أقام البرهان على أهميّة الفقه بقوله: الحقّ عندنا أن الله تعالى إنّما فعل الأشياء المحكمة المتقنة لغرض وغاية، ولا ريب في أن نوع الإنسان

أشرف ما في العالم السفلي من الأجسام فيلزم تعلّق الغرض بخلقه، ولا يمكن أن يكون ذلك الغرض حصول ضرر له، إذ هذا إنّما يقع من الجاهل والمحتاج - تعالى الله عن ذلك علوّاً كبيراً -، فتعيّن أن يكون هو النفع، ولا يجوز أن يعود إليه سبحانه لاستغنائه وكماله، فلا بدّ أن يكون عائداً إلى العبد، وحيث كانت المنافع الدنيويّة في الحقيقة ليست بمنافع، وإنّما هي دفع الالام فلا يكاد يطلق عليها اسم النفع، إلاّ على ما ندر منها، لم يعقل أن يكون هو الغرض من إيجاد هذا المخلوق الشريف، سيّما مع كونه منقطعاً مشوباً بالالام المتضاعفة، فلا بدّ أن يكون الغرض شيئاً اخر ممّا يتعلّق بالمنافع الأخرويّة، ولمّا كان ذلك النفع من أعظم المطالب وأنفس المواهب لم يكن مبذولاً لكلّ طالب، بل إنّما يحصل بالاستحقاق، وهو لا يكون إلاّ بالعمل في هذه الدار المسبوق بمعرفة كيفية العمل المشتمل عليها هذا العلم، فكانت الحاجة ماسّة إليه جداً لتحصيل هذا النفع العظيم.

. . ثم ساق صحيح أبان بن تغلب، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «لوددت أنّ أصحابي ضربت رؤوسهم بالسياط حتى يتفقّهوا».

وخبر عليّ بن أبي حمزة قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «تفقّهوا في الدين فإنّه مَنْ لم يتفقّه منكم [في الدين] فهو أعرابي، إنّ الله تعالى يقول في كتابه: ﴿لِيَتَفَقَّهُوا فِي ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ [التوبة: ١٢٢].

وفي خبر مفضّل بن عمر، عن أبي عبد الله عليه السلام: «إنّ مَنْ لم يتفقّه في دين الله تعالى لم ينظر الله إليه يوم القيامة، ولم يزكِّ له عملاً».

وغير ذلك.

وفي خبر إبراهيم بن عبد الحميد، عن أبي الحسن موسى عليه السلام قال: دخل رسول الله صلى الله عليه وآله المسجد فإذا جماعة قد أطافوا برجل، فقال: «ما هذا؟» فقيل: علاّمة. فقال: «وما العلاّمة؟» فقالوا له: أعلم الناس بأنساب العرب ووقائعها، وأيام الجاهلية، والأشعار العربية. [قال:] فقال النبي صلى الله عليه وآله: «ذاك علم لا يضرّ من جهله، ولا ينفع من علمه». ثم قال النبي صلى الله عليه وآله: «إنّما العلم ثلاثة: اية محكمة، أو فريضة عادلة، أو سنّة قائمة، وما خلاهن فهو فضل».

وعن أبي جعفر عليه السلام أنه قال: «الكمال كلّ الكمال التفقّه في الدين، والصبر على النائبة، وتقدير المعيشة».

وفي خبر حمّاد عن الصادق عليه السلام قال: «إذا أراد الله بعبد خيراً فقّهه في الدين».

وعنه عليه السلام أنه قال: «العلماء أمناء، والأتقياء حصون، والأوصياء سادة».

واعلم بنيّ أنّ مذاكرة العلم عبادة، فعليك بها، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «تذاكروا وتلاقوا وتحدّثوا، فإنّ الحديث جلاء للقلوب، إنّ القلوب لترين كما يرين السيف؛ وجلاؤها الحديث».

وقال أبو جعفر عليه السلام: «رحم الله عبداً أحيى العلم، وإحياؤه أنْ يذاكر به أهل الدين، وأهل الورع».

وعليك بنيّ - وفّقك الله تعالى للعلم والعمل الصالح - إن

اضطررت إلى الاكتساب لاقتضاء الوقت ذلك بسبب تغيّر أوضاع الزمان. وأداء ترك التكسّب إلى الذلّة، أو ارتكاب الأمور الغير المشروعة، أن لا تترك طلب العلم بالمرّة، بل تطلب العلم مقداراً من النهار، وتكتسب مقداراً، فإنّ من المنصوص المجرّب أنّ الرزق مقدار معيّن لا يزيد بكثرة السعي، ولا ينقص بقلّته.

فإيّاك بنيّ أن تصرف حينئذٍ تمام عمرك في طلب المعيشة، وتترك طلب العلم بالمرّة، فتكون كالبهيمة أو أضلّ سبيلاً، وتجهل تكاليفك، وتكون قراءتك للقران والأدعية مجرّد لقلقة اللسان من دون فهم للمعنى.

وأرى أن اتّخاذ قراءة التعزية مكسباً أولى لك من سائر المكاسب؛ لاجتماعها مع طلب العلم والتفقّه.

وعليك إن اخترتها بحفظ اللسان من الكذب والبهتان على أهل البيت عليهم السلام، ولا تذكر من المصائب إلاّ ما به رواية معتبرة تنسبها إليها، أو تنقل ما رواه الشخص المعيّن، ولا تزعم أنّ كثرة بكاء الناس تتوقّف على الإكثار من ذكر المصائب، بل تحصل بإدخال المصيبة في قلب الشيعي بتقريب حسن، ولذا فعليك بتقديم بيان كرامة من كرامات مَنْ تذكر مصيبته من أهل البيت عليهم السلام وتعقّب ذلك بذكر المصيبة، فإنّ لذلك مدخلاً عظيماً في تأثير ذكر المصيبة في القلب، وزيادة البكاء، كما يقضي به الاعتبار والتجربة.

وإيّاك وأن تكون طبيباً؛ فإنّ خطر الطبّ عظيم، وتبعاته كثيرة، والخلاص منها صعب مستصعب، سيّما عند المباشرة للعلاج باليد.

وإيّاك بنيّ إن طلبت العلم، وبلغت المرتبة العليا منه أن تطلب

الرئاسة، وتحنّ نفسك إليها، فإنّها مُهلكة، وللدين مفنية، وللراحة سالبة، وإني لأخبرك إخبار مطّلع مجرّب داخل فيها وخارج؛ إنّك إن التزمت بمُرِّ الحق كنت مسلوب الراحة في نفسك، وملوماً عند الناس، وإن جريت على ميل الناس خسرت الآخرة.

فعليك بنيّ بالفرار منها فرارك من الأسد، إذ لا خير فيما يشغلك عن العبادة، ويعقبك بين الناس الملامة، وما رأيت في عمري رئيساً في العلم التزم بالديانة إلاّ وكان غرضاً للسهام، يُستحل جمع ماله وعرضه، ويستبيحون البتهان عليه وشتمه، ويعاملونه معاملة الكافر الحربي.

فإيّاك بنيّ ثمّ إيّاك وتمهيد أسبابها، ونصب شبائكها، وتهيئة مقدماتها، فتكون ساعياً في هلاك نفسك، وذهاب راحتك ودينك، وإن أتتك قهراً عليك فعليك بمراقبة نفسك اناً بعد ان، فإنَّ خطرها عظيم، ومزالقها كثيرة، ومنفعتها يسيرة، ومضارّها جسيمة، والسالم من تبعاتها. في نهاية الندرة، وإنّ أخوف ما يخاف على العالم المبرّز أمور أنهاك بنيّ! عنها غاية النهي، وأمنعك منها نهاية المنع.

أحدها: القضاء:

فإنه سم ناقع، ومرض مهلك، فإيّاك بنيّ وإيّاه، فإنّه من مزالق الأقدام، ومزالّ الأقلام، سيّما في هذه الأزمنة التي قلّ فيها الديّانون، وكثرت عبدة الشيطان والغاشون، وكيف يقدم العاقل على أمرٍ مرتكبوه أقسام أربعة، ثلاثة منهم في النار وواحد في الجنّة؟! وأيّ تاجر يقدم على تجارة لا يوازي ربحها خسرانها، ونفعها ضرّها؟! وكيف يجسر

المتديّن على جلوس مجلس لا يجسله إلاّ نبيّ أو وصيّ [نبيّ] أو شقيّ، ومَنْ ذا الذي يطمئنّ من نفسه ويرجو منها رتبة النبوة والوصاية حتى لا تصيبها الشقاوة؟.

وإيّاك بنيّ - عصمك الله تعالى من الزلاّت - أن تغترّ بتسويلات الشيطان وتخيّلاته، وتزعم وجوب القضاء عليك عيناً فترتكبه وتهلك من حيث لا تعلم، وإن اتفق وقوعك في قطر وبانَ لك - بعد إخلاء الذهن وصرف الفكر - وجوبه عليك عيناً واقعاً، لجمعك الملكتين، وإيراث تركك القضاء الهرج والمرج في الأعراض والأنفس والأموال؛ فعليك بإعمال الصلح، وإلزام الطرفين بالإحتياط بعد تبيّن المحقّ عندك يقيناً.

ثانيها: الخيانة:

[الخيانة] في حقوق الفقراء والمساكين من الذريّة الطاهرة وسائر الرعية، تارة بالصرف في التوسعة على النفس والعيال وترجيحهم على سائر الفقراء بغير مرجح شرعي، وأخرى: بمتابعة الهوى في صرفها، والإخلال بالإخلاص في إيصالها.

فأوصيك بنيّ - عصمك الله تعالى من اتّباع الهوى - بما أوصى به إليّ حضرة الشيخ الوالد العلامة - أنار الله برهانه - إن صرت مرجعاً للحقوق:

أوّلاً: بأن تمتنع من صرفها على نفسك وعيالك مهما أمكن، وتقنع بالهدايا، فإنّي لا امَن من أنّك إن أخذت منها في بدو الأمر بقدر الضرورة يقسو قلبك، وبعد ذلك تجسر على الأخذ بمقدار التوسعة، ثمّ

تجسر على الأخذ للتأنقات والتجمّلات، ثمّ تجسر بعد ذلك على صرفها في تهيئة الأملاك والأموال لمعيشة أولادك وعيالك بعدك، فتكون مورداً لنفسك موارد الهلكة، مستحقّاً للعذاب يوم الفقر والفاقة، وإنّما مثل الحقوق مثل الشبهات، مَنْ حام حولها يوشك أن يدخل فيها.

نعم؛ إنْ لم تكن مرجعاً للتقليد والحقوق فلا بأس بأخذك منها مقدار رفع الضرورة، ولا تزعم أنّك إن امتنعت من صرف الحقوق على نفسك وعيالك تموت جوعاً، فإنّ كفيل الرزق مأمون، فإذا وجدك ممتنعاً من صرف الحقوق رزقك من الهدايا بمقدار ما قُدّر لك، كما قضت به التجربة القويمة، ولقد وجدتُ بُنيَّ للامتناع من صرف الحقوق على النفس والعيال آثاراً عجيبة، وفوائد جمّة غريبة، ونوراً في القلب، وبركة في العمر، وتوفيقاً للطاعة، وحفظاً عن الزلة.. وأسأل الله الكريم الوهاب أن يريك ذلك بالعيان الذي ليس مثله البيان.

وثانياً: بأن تنوي القربة في إيصال الحقوق، ولا تقرن عطاءك بالأغراض الواهية الدنيويّة، فتعطي من يخدمك ويعظّمك، وتقطع من لا يقرب منك ولا يعتني بك، أو تزيد سهم القريب على سهم البعيد لا لمرجح شرعي، بل بسبب القرب وإظهار الإخلاص لك، بل ليكن موجب عطائك إيمان المعطى وتقواه، وموجب تفضيلك وجود جهة من جهات الفضل الشرعية فيه، وذلك لأنّ عطاء الحقوق وإيصالها عبادة يعتبر فيها نيّة القربة، وينافيها قصد الأغراض الواهية، فإذا لم تخلص فيها النية بقيتَ مشغول الذمّة لصاحب الحقّ والفقراء جميعاً، وكان

شفعاك يوم القيامة خصماءك، وخسرت الدنيا باخراج المال من يدك، والاخرة بعدم قصد القربة المبرىء للذمّة، وصرت مصداق قول الشاعر الفارسي:

ديـــدي كـــه چـــه كـــرد أشـــرف خـــر

أو مـــظـــلـــمـــه بـــرد وديـــگـــري زر[1]

ثالثها: التسرّع في الفتوى:

فإنّ [التسرّع في الفتوى] داءٌ عضال؛ فعليك بنيّ بالاجتناب من ذلك، وإيّاك بنيّ وأن تفتي قبل الإحاطة بجميع أبواب الفقه، فإنّ بعضها مربوط ببعض.

ولقد عثرت غير مرّة على فتوى جمع من المعاصرين في قضايا على طبق القاعدة، أو أخذاً بإطلاق في الباب المناسب له بأمور مخالفة لإجماع الطائفة، لعدم عثورهم على عنوانه في باب اخر بأدنى مناسبة، وأنت إن تأمّلت في رواية أبي ولاّد الواردة في إجارة البغلة، المذكورة في الباب السابع عشر من كتاب إجازة الوسائل، علمت عظم خطر الفتوى، وأنّه إذا كانت الفتوى بغير الواقع في قضيّة دراهم معدودة موجباً لحبس السماء ماءها، ومنع الأرض بركاتها، فما حال الفتوى بغير ما أنزل الله تعالى في الأموال الخطيرة، والأعراض والأنفس المحترمة؟!.

(١) [ويريد هنا أنه: هل رأيت ما حلّ بـ(اشرف) الحمار، حيث تحمل هو تبعات عمله وحظي غيره بالذهب والغنيمة].

وينقل عن العلاَّمة قدّس سرّه أنّه أخبر ولده قدّس سرّه في الرؤيا بأنّه: لولا كتاب الأَلْفَيْن، وزيارة الحسين عليه السلام لأهلكتني الفتوى..! والحال أنه اية الله سبحانه المحيط بالفقه والأخبار وأسانيدها ورجالها.

فإيّاك بنيّ ثمّ إيّاك وأن تتصدّى للفتوى قبل الإحاطة التامّة، بل إيّاك والتصدّي لذلك حتّى بعد الإحاطة التامّة إلاّ عند الضرورة، بانحصار المحيط بالفقه فيك، وأداء تركك للفتوى إلى وقوع العباد في الضلالة وخلاف الواقع، لتصدّي الجهّال له.

رابعها: حبّ الجاه:

[حبّ الجاه] والجلالة الملازم للمرجعيّة في الغالب، والمفني للأجر، والمورد للهلكة.

فعليك بنيّ بحفظ نفسك من ذلك، ومراقبتها في كلّ انٍ، فإنّ النفس أمّارة بالسوء إلاّ ما رحم الربّ وعصم..

وفّقك الله تعالى بنيّ وإيّاي لإصلاح النفس وتبعيد الهوى عنها، إنّه لطيف بعباده، قادر على إنفاذ مراده.

خامسها: التزوير:

[**التزوير**]: هو مخالفة الباطن للظاهر بإظهار الزهد والقناعة في الظاهر دون الباطن، فإنّ ذلك ممّا شاع في أعصارنا إلى أن صار ممّا نوبّخ به، فإيّاك بنيّ وإيّاه، فإنّه شرك خفي بالله العظيم، بل جليّ، وكأن مرتكبه يعبد الناس دون الله تعالى، ويراقبهم دونه، على أنّ البواطن لا

تخفى، فظهورها يوجب سقوط المزوّر عن أعين الناس، وافتضاحه بين العباد.

فعليك بنيّ بأن تصانع وجهاً يكفيك الوجوه كلّها، وتعمير ما بينك وبينه والتسوية بين الظاهر والباطن من جميع الجهات، ولقد أجاد من قال:

فيا ليت ما بيني وبينك عامر

وبيني وبين العالمين خراب

الفصل الخامس

(في الوصايا الراجعة إلى أمور المعاش)

مِن المسكن، والملبس، والمجالسة، واختيار الزوجة، ومعاشرة العيال وتربية الأولاد.

أُوصيك بنيّ! - أرشد الله تعالى أمرك، وأطال عمرك، ووفّقك لما يحبّ ويرضى، وجعل مستقبلك خيراً ممّا مضى - بسكنى النجف الأشرف ما دام معاشك داراً فيها على الوجه الأوسط، بل الأدنى من غير ارتكاب محرّم، ولا تحمّل مذلّة، لأمور:

فمنها: أنّ لمولانا أمير المؤمنين عليه أفضل الصلاة والسلام خصوصيّة في حماية الجار، وحفظه من شرّ الأشرار، كما قضتْ بذلك التجربة في هذه السنين العشرة المشومة، والقرون السالفة، وكشف عن ذلك قوله عليه السلام: «والنجف حَرَمي، ما قصده جبّار بسوء إلاّ وقسم الله تعالى ظهره».

وقوله عليه السلام مشيراً إلى ظهر الكوفة: «ما قصده جبّار بسوء إلاّ ورماه بقاتل».

وقوله عليه السلام: «إذا كان البلاء في سائر الأقطار إلى شحمة الأذن، ففيك إلى الخلخال».

ومَنْ تأمّل في الوقائع المحيّرة للعقول في هذه السنة المتعوسة فهم معنى هذه الرواية، وعرف مقدار حمايته عليه السلام للجار.

ومنها: ما في زيارته عليه السلام وفي الصلاة عنده من الفضل العظيم الذي لا يحرم العاقل نفسه منه.

ومنها: ما في سكناها من البعد عن جملة من المعاصي قهراً، لعدم تهيؤ أسبابها في كل زمان على نحو تهيأتها في سائر الأماكن، كالرئاسات الدنيوية الميسورة للعلماء في سائر الأقطار، سيما بلاد إيران - صانها الله تعالى عن الحدثان -.. إلى غير ذلك مما لا يخفى على المتدبّر المنصف.

وإنْ لم يتيسّر لك سكناها، أو توقّف على ارتكاب خلاف الشرع أو تحمّل مذلّة، فعليك بالخروج منها وسكنى عتبة أخرى من الأعتاب المقدّسة، مقدّماً غير كربلاء المشرّفة عليها، لما ورد من كراهة سكناها، بل من المجرّب المعلوم إيراث سكناها قسوة القلب، وبذلك تقتضي السليقة المستقيمة أيضاً.

وإيّاك بنيّ وسكنى غير الأعتاب المقدّسة ما درّت معيشتك فيها بغير ارتكاب محرّم وتحمّل ذلّ، فإنّ للعتبة فوائد أخرويّة، بل ودنيويّة ليست في غيرها، فإنْ لم يتيسّر [لك] ذلك، فعليك باختيار ما غلب على أهله التقى والصلاح والوازنة والرزانة والفهم والعلم من البلاد للسكنى.

وعليك بنيّ إذا سكنت الأعتاب المقدّسة أو زرتها اختيار دار قرب العتبة التي بها، فإنّ بُعد المنزل عن المزار يتسبب [منه] ترك الزيارة في جملة من الأوقات، لِوَجَل أو مطر أو فساد في البلاد أو ضيق وقت أو.. نحو ذلك، وإنْ سكنت غير العتبة فعليك بوسط المعمورة، فإنّه أسلم وأبعد من الافات.

وعليك بتحصيل مسكن ملك أو وقف يشرع سكناه مهما أمكن ولو كان محقّراً، فإنّ الدار المملوكة أو الشبيهة للملك - وإنْ كانت محقّرة - أسلم دنياً ودِيناً من الواسعة بالإجارة، فإنّ فيها مذلّة.

وعليك إذا أردت شراء دار أو إجارتها بالفحص الأكيد عن حال الجيران، فالجار ثم الدار، وإني قد غفلت عن ذلك فأصابني مدة مديدة من الجيران ما كاد يخرج تحمّل بعضه عن طوع طاقتي، ولولا فضل الله تعالى وحفظه لوقعت فيما لا ينبغي.

وإن احتاج نبيّ مسكنك إلى التعمير، فإيّاك أن تعمّره جميعاً في سنة واحدة، بل عمّر في كل سنة جهة، ولا تقلع تمام التعمير السابق، بل أبقِ منه ما كان محكماً، لأنّ من المجرب أن مَنْ عمّر داره من أصولها في سنة واحدة لا يسكنها ولا يتهنأ بها، مضافاً إلى أن هدم المحكم إتلاف للمال وإسراف.

وإيّاك وأن تختار التعمير المنظّم من جميع الجهات، بل اقتصر على مقدار قضاء الحاجة وإنْ كنت ذا مال وثروة، لأنّ الدنيا ليست بدار قرار وسرور، فخذ منها ما يكفيك، واقتصر منها على ما يرفع حاجتك، واصرف الباقي في تعمير دار الاخرة بصلة الذريّة الطاهرة وأخيار الشيعة المطهّرة، وتزويج الأعزب منهم، وإعانة المضطرّين منهم.. ونحو ذلك.

وعليك بنيّ باختيار الدار الواسعة إنْ أمكنك، فإنّ من سعادة الرجل سعة داره في الدارين، رزقني الله تعالى وإيّاك بنيَّ ذلك.

وأوصيك بنيّ! - ألبسك الله تعالى ثوب التقوى - باختيار ما كان من اللباس وسطاً، يلبسه الغنيّ والفقير كلاهما، لأنّك إنْ كنت فقيراً كنت غير متعدّ طورك، ولا تقع في المحظور مِنْ صرف الحقوق وأموال الناس في الزائد عن قدر الضرورة، وإنْ كنت غنياً كنت قد زهدت في الدنيا، وتسلّت بك الفقراء، على أنّ لهذه الفاحشة الدنيّة انقلابات، فإن كانت قد عوّدت نفسك بلباس الأواسط لم يتبيّن فقرك عند إدبار الدنيا عليك، وإنْ عوّدت نفسك بلباس الأغنياء، فإن التزمت عند زوال غناك بلباسك المتعوّد عليه، كنت قد كلّفت نفسك ما لا تطيق، بل ربّما وقعت لأجل ذلك في الحرام، وإنْ لبست لباساً أنزل من السابق بانت الخلّة في أمورك، والذلّ في وجهك وثيابك.

وإيّاك بنيّ ولباس الشهرة في طريفيّ الفقر والغنى، وجانبي الزهد والتجمّل، ولورود النهي الأكيد عنه، وخير الأمور أوسطها.

وعليك في اللباس بالتقيّد بما هو المطلوب شرعاً، من الطهارة الشرعية، والنظافة الصورية، فثوب كرباس نظيف خير شرعاً وعقلاً من ثوب خزّ قذر.

وعليك بنيّ - رزقك الله تعالى خير جليس - إذا أردت أن تجالس أحداً، أنْ تلاحظ مَنْ تجالس، فإن المرء يُعْرَف بجليسه.

وإيّاك ومجالسة فاسدي العقيدة، والعصاة، والسفلة، والأراذل، والأذناب، وذوي العادات الرديّة، والأخلاق الدنيّة، فإنّ المرء مكتسِبٌ مِنْ كل مصحوب، والمجالسة مؤثّرة، ولقد تضمّن الديوان المنسوب إلى أمير المؤمنين عليه السلام قوله:

ولا تصحب أخا الجهل
وإيّاك وإيّاه
فكم من جاهل أردى
حكيماً حين اخاه
يقاس المرء بالمرء
إذا ما هو ماشاه
وللشّيء من الشيء
مقاييس وأشباه

وروي أنّ لقمان قال لابنه: يا بنيّ! اختر المجالس على عينك، فإنْ رأيت قوماً يذكرون الله عزّوجلّ فاجلس معهم، فإنْ تكن عالماً ينفعك علمك، وإنْ تكن جاهلاً علّموك، ولعلّ الله تعالى أنْ يظلهّم برحمته فتعمّك معهم.

وعن أبي الحسن موسى عليه السلام: «إن محادثة العالم على المزابل خير من محادثة الجاهل على الزرابي».

وعن رسول الله صلى الله عليه وآله: أنّه «قالت الحواريون لعيسى عليه السلام: يا روح الله! مَنْ نجالس؟ مَنْ يذكّركم الله رؤيته، ويزيد في علمكم منطقه، ويرغّبكم في الاخرة عمله».

وقال صلى الله عليه وآله: «مجالسة أهل الدين شرف الدنيا والاخرة».

وقال أبو جعفر عليه السلام: «لَمجْلس أجلسه إلى مَنْ أثق به أوثق في نفسي من عمل سنة».

وعن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال: «إيّاك ومخالطة السفلة؛ فإنّ السفلة لا تؤول إلى خير».

وقال الصدوق رحمه الله: جاءت الأخبار في معنى السفلة على وجوه:

منها: أنّ السفلة هو الذي لا يبالي بما قال ولا ما قيل فيه.

ومنها: أنّ السفلة مَنْ يضرب بالطنبور.

ومنها: أنّ السفلة مَنْ لم يسرّه الإحسان ولم تسؤوه الإساءة.

و[منها: أن] السفلة من ادّعى الإمامة وليس لها بأهل.

وهذه كلها أوصاف السفلة؛ من اجتمع فيه بعضها أو جميعها وجب اجتناب مخالطته.

نعم، إنْ رجوت من مجالسة العاصي والدنيّ إصلاح حاله، وتهذيبه من رذائل أخلاقه، من دون أن تكتسب منه عادة رديّة، أو تتّهم بين الناس بتهمة فعليك بنيّ بمجالسته بمقدار يتوقّف عليه إصلاحه، فإنّ الرجل كلّ الرجل ليس مَنْ أدّب نفسه فقط، ونجّاها من النار، بل مَنْ أدّب غيره أيضاً، ولذا جُعل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أهمّ الفرائض، واكد الواجبات؛ لما فيهما من تأديب الغير واخراجه من العصيان إلى الطاعة، وإنجائه من النار.

وإذا أردت بنيّ! - رزقك الله خير الدارين - التزويج، فعليك بملاحظة نسبها، فإنّ منها يكون الولد، وإنّ الوعاء واللبن كلاهما يؤثّران في الولد، وعليك بمراعاة الصفات المحمودة شرعاً.

وعليك - بعد إحراز سلامة نسبها من أسباب العار، وإيمانها

وتقواها - إحراز جمالها حتّى تستغني بها عن غيرها، فإنّ جمال المرأة يوجب أنس الخاطر، وقطعه النظر عن غيرها.

وما ورد من المنع من تزويج المرأة لمالها أو جمالها، فإنّما المراد به مراعاتهما من دون مراعاة الدين، وإلاّ فلا شبهة في أنّ اختيار الجميلة - بعد احراز دينها وتقواها - أحسن، كما لا يخفى على من راجع الأخبار.

وقد كان حبّ النبي ﷺ لعائشة لجمالها!!.

وكذا لابأس باختيارك لذات المال والثروة، إذا كانت ذات دين صالحة تقيّة، وكان مالها من حلال، وكانت ملتزمة بأداء حقوق أموالها.

بل عليك بنيّ باختيارها سيّما إن كنت فقيراً، فإنّ مالها قد ينفع أولادها، ويعين على اشتغالهم بطلب العلم، فإنّ من له كفاية يقدر على طلب العلم أحسن من الفقير المعدم، ولكن لا يفوتك التقيّد بقيدي الديانة والنجابة.

وإيّاك واختيار الملية المستحدثة النعمة، فإنّها لمالها وامتلائها فقراً ربّما تتكبّر عليك وتستصغرك، فتكون في محنة وبلاء، ولذا يكره القرض من مستحدث النعمة، وإذا دار الأمر بين الملية المستحدثة النعمة، والنجيبة الفقيرة، فعليك باختيار الثانية، فإنّ أحشاء المستحدثة مملوّة فقراً، ولذا قال الشاعر:

مستحدث النعمة لا يرتجى

أحشاؤه مملوّة فقرا

وقال الشاعر الفارسي:

نـــعـــيـــم زاده چـــه شـــود بـــراو ســـيـــونـــد
درخـــت چـــونـــكـــه تـــهـــى گـــشـــت بـــارور گـــردد
لـــئـــيـــم زاده چـــه مـــنـــعـــم شـــوداز او بـــگـــريـــز
كـــه مـــســـتـــراح چـــه ـــرگـــشـــت گـــنـــده تـــرگـــردد(١)

وعليك بستر زوجتك وبناتك وسائر حرمك بالبيوت، ومنعهنّ من الخروج إلاّ بقدر الحاجة والضرورة، لأنّ المرأة لضعف قوّة تمييزها، إذا ازدادت معاشرة مع النساء، وخروجاً من الدار، فسدت ديناً ودنياً، ولذا ورد الأمر بستر عيّهنّ بالسكوت، وعوراتهنّ بالبيوت.

وعليك بنيّ بتربية أولادك ذكوراً وإناثاً من الطفولة بالاداب الشرعية والعقلية، ولا تَقُلْ: هو طفل غير مخاطب بخطاب الله سبحانه.. ! فإنّ الطفل إن لم يؤدّب من بدو الأمر لم يمكن تأديبه بعد الكبر، ولقد أجاد من قال:

اضـــرب ولـــيـــدك تـــأديـــبـــاً عـــلـــى رشـــد
ولا تـــقـــل هـــو طـــفـــل غـــيـــر مـــحـــتـــلـــم
فـــرُبّ ضـــرب يـــؤدّي الـــتـــرك مـــنـــك لـــه
إلـــى الـــجـــراح لـــدى رشـــد وفـــيـــض دم

(١) [وحاصل ترجمته هو: ان ابن النعمة حيث أصبح مفلساً فاشدد علاقتك به وارتبط به، إذ أن الشجرة إذا أوبرت زادت نمواً ورشداً، أما ابن اللؤماء ومستحدثي النعمة فأهرب منه ما استطعت، وذلك فيما إذا أقبلت عليه الدنيا، لأن البالوغة كلما كثر ما فيها من القاذورات زادات ريحها نتناً].

وعليك بتعليمه معالم الدين وأحكام ربّ العالمين من الطفوليّة، فإنّ ما انتقش في الخاطر عند الطفولية لا يزول، وعَلِّمْه بعد ختم كلام الله المجيد كتاب الحسنية، وكتب معجزات الأئمّة عليهم السلام حتّى يعجن قلبه بحبّهم عليهم السلام، ولا يكون تشيّعه عن اتّباع الاباء، بل بالبرهان.

ومن أهمّ ما يلزمك في أدب الطفل أن تمنعه من الخروج من الدار وحده، واللّعب مع الصبيان في الشارع، بل امنعه من مخالطة الأطفال مهما أمكن حتّى في الدار، فإنّ طبعه سريع الاكتساب، فربّما يكون خليطه ذا عادة سيّئة، وطبيعة مرجوحة فيكتسبها منه بسرعة، حتّى أنّه إذا بدأ بطلب العلم امنعه من معاشرة أمثاله فضلاً عمّن هو أكبر منه إلاّ بقدر تعلّم العلم ومذاكرته، وليكن طلبه ومذاكرته في موضع يكون [معه] ثالث يتقيّد منه، ولا يسعه تعلم طرق الشيطنة والفساد من جليسه.

وإنّما ذكرت هذه الفقرات لك بعد التجربة، فإنّ جليسي ومَنْ كنت أتذاكر معه في الطفولة كان صالحاً ابن صالح، فلم أتعلّم منه شيئاً من الفساد إلاّ أنّه عوّدني بشرب التتن، فلمّا كبرت ندمت حيث لا ينفع الندم، حيث إنّي لما شعرت بضرره وأضعافه وتركته، أصابني من تركه ضرر أعظم، فعدت عليه من حيث إنّ المزاج قد تعوّد بهضم الطعام ودفع الرطوبات الزائدة بمعونته، فبتركه يهيّج الرطوبات وأورث المرض.

وإيّاك بنيّ وأن تعوّد الطفل بالدرهم والفلوس، وتعطيه إيّاه، وتفهّمه مصرفه، فإنّ في ذلك مفاسد عظيمة لا يلتفت إليها إلاّ مَنْ جرّب ذلك، فإنّه إذا فهم فائدته تعلّق قلبه من الطفولة به، ولم تخرج تلك العلقة من قلبه، فيكون محبّاً للمال وزخرف الدنيا، مضافاً إلى أنّه ربّما لا يجده فيلتزم في تحصيله بكلّ طريق ممكن، فيقع في المفاسد العظام.

وإيّاك بنيّ ثمّ إيّاك وتعويد الطفل - ذكراً كان أو أنثى - بالجيِّد من المأكول والملبوس، لأنّه إذا اعتاد بهما ولم يساعد الزمان إلى الالتزام بما اعتاد به كان في كدر، بخلاف ما لو اعتاد بالوسط أو الأدون، فإنه إن تيسر له أجود منه كان مسروراً.

ومن أهمّ ما يلزمك بنيّ! أن تزوّج أولادك في أوّل البلوغ، تصون بذلك دينه وعرِضه.

وإيّاك أن يمنعك الفقر من ذلك.

وأراك عاقاً عليّ إن لم تمتثل ما أمرتك به، وأرى روحي لا ترضى منك إن خالفتني فيه، غايته عند الفقر الإتيان بالميسور، ولا أقلّ من أن تمتّع له امرأة فقيرة يكتفي بها إلى أن ييسّر الله سبحانه عليك أو عليه.

وتلخيص المقال في وصاياي ولبّها إعمال الفكر دائماً في أموري المعاد والمعاش، واختيار الراجح شرعاً وعقلاً، مع ملاحظة العواقب..

وفّقك الله - تعالى - لما يحبّ ويرضى، وجعل مستقبل أمرك خيراً ممّا مضى.

وقد آل الأمر بي إلى هنا بعد الساعة الثامنة من ليلة الأحد سابع شهر جمادى الأولى سنة ألف وثلاثمائة وأربع وعشرين، حامداً لله تعالى مصلّياً على النبي الأمين وآله الغرّ الميامين، لاعناً أعداءهم أجمعين من الان إلى يوم الدين.

تم كتاب: «**مرآة الرشاد في الوصية إلى الأحبّة والأولاد**».

والحمد لله وحده وصلّى الله عليه من لا نبي بعده وآله الطيبين الطاهرين.

الفهرس

الفصل الأول: في نبذ يسيرة مما يرجع إلى الأصول لخمسة إجمالاً ٧
الفصل الثاني: في الحث على طاعة الله سبحانه والتحذير من المعصية والكسل، وصرف العمر فيما لا ينبغي.. وجملة أخرى من الوصايا ١٧
حفظ اللّسان ٢٤
محاسبة النفس ٢٦
مراقبة النفس ٢٧
التفكر ٢٨
الصبر والشكر والرضا ٣١
مراتب الصبر وأنواعه ٣٢
التوكّل ٣٩
القناعة/ الحياء ٤٣
حسن الخلق ٤٤
الحلم والعفو ٤٥
مسكنات الغضب ٤٧
الإنصاف والمروّة/ الوفاء بالوعد ٤٨
السخاء ٥٠
الفصل الثالث: في جملة أخرى من الوصايا المتفرقة ٥١
الحث على إكرام الفقهاء ٥٦
لزوم إكرام الذريّة الطاهرة ٥٧
صلة الرحم/ إيّاك وقطع الرحم ٥٨
ينبغي الاقتصاد في جميع الأمور ٥٩
وجوب مخالفة الهوى ٦٠
الوصيّة ٦١

المداومة على ذِكْر الله سبحانه ٦٢
عليك بالاستغفار/ آداب وإذكار أُخر ٦٣
الالتزام بالنوافل ٦٥
مراجعة الأخبار والمواعظ ٦٧
ترك الشبع/ ترك كثرة النوم ٦٨
كثرة الضحك ٦٩
إيّاك والحسد ٧٠
إيّاك والكذب/ إيّاك والشماتة/ ترك ما يقسي القلب ٧١
ترك الكبر والغرور ٧٢
وعليك بالتواضع ٧٣
النهي عن الاستحقار ٧٤
النهي عن الحرص/ النهي عن العُجْب ٧٥
النهي عن الرياء/ النهي عن القنوط والأمن من مكر الله ٧٦
التوبة من الذنوب ٧٧
لزوم المبادرة إلى التوبة ٧٩
الصبر على الفقر ومرارته ٨٠
اجتناب مورثات الفقر ٨٥
الفصل الرابع: في الوصايا المتعلّقة بطلب العلم وبيان فضله وما يتعلّق به ٨٧
قصد القربة في طلب العلم ٩٦
أحدها: القضاء ١٠٩
ثانيها: الخيانة ١١٠
ثالثها: التسرّع في الفتوى ١١٢
رابعها: حبّ الجاه/ خامسها: التزوير ١١٣
الفصل الخامس: (في الوصايا الراجعة إلى أمور المعاش) ١١٥